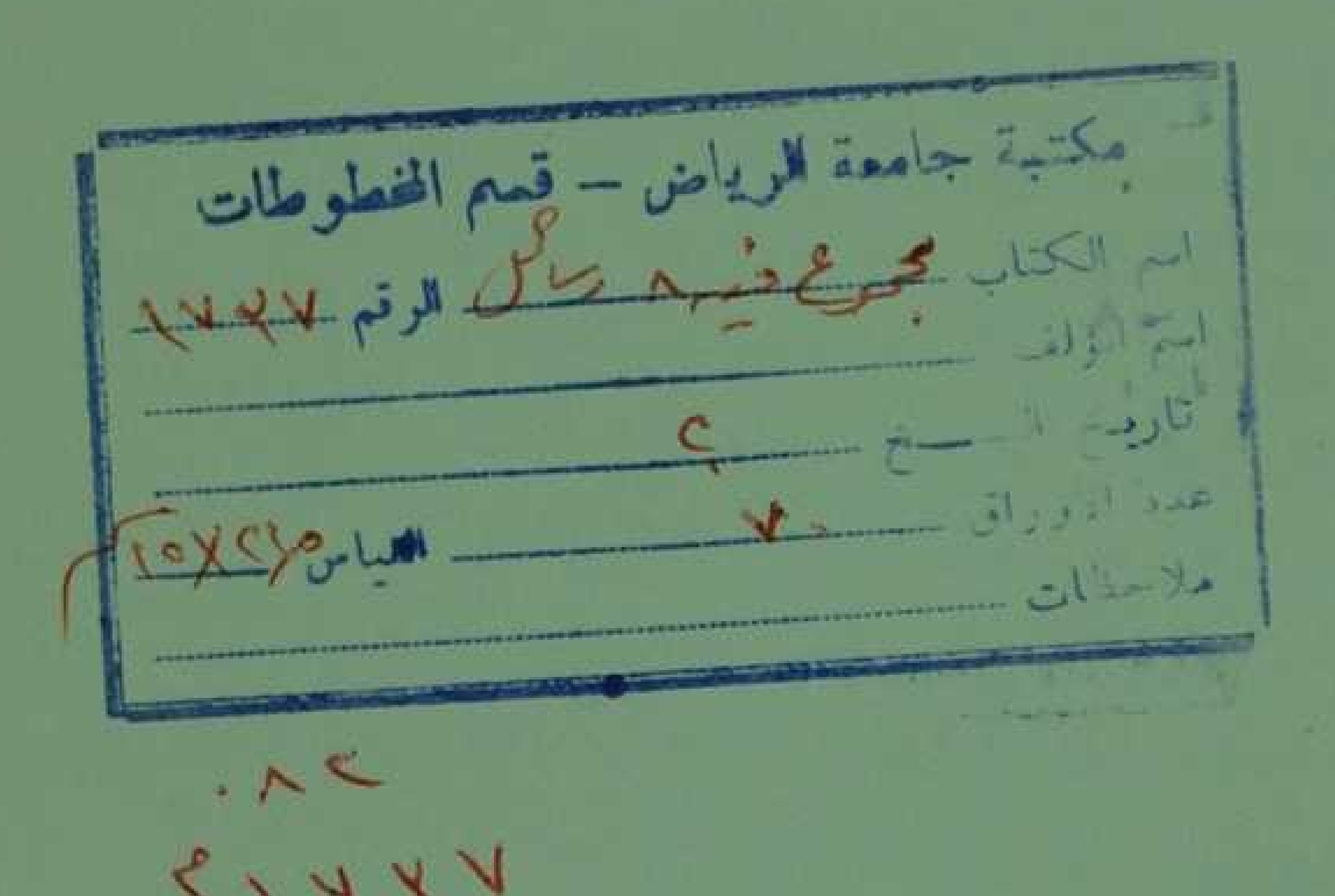

٠٨٢
٢١٧٢٧


مكتبة جامعة الرياض – قسم المخطوطات
اسم الكتاب مجموع فيه رسائل
الرقم ١٧٢٧
اسم المؤلف
تاريخ النسخ
عدد الأوراق ٧
القياس ٢٦×١٥
ملاحظات
٨٣
٢١٧٢٧

مجموع ١

خشونة العيش والقلة وكانت معيشته من حوانيت ورثها من
ابيه واخذ اجرتها في الشهر دون عشرين درهما ومات ولم يخلف
الا قطعا في خرقة لها كان وزنها دون نصف درهم وترك عليه
دينا قضي عنه من اجرة حوانيته مع كثرة ما كان يرد على الخلفا من تحف
نزر الصلات وكان يحيي ابن ابي كثير من العلما الربانيين المتو
سعين في العلم وكان يقال انه لم يبق على وجه الارض مثله وكان
حسن الثياب حسن الهيئة فلما مات خلف ثلاثين درهما كسو
ها وكان محمد ابن اسلم الطوسي من العلما الربانيين الزهاد فمات ولم
يخلف سوى كسائه ولبده فوضعوها على نعشه واناء للوضوء تصدق
قوابه فكان البنا عند السطوح يقلت في جنازته هذا العالم الذي
خرج من الدنيا وهذا ميزته الذي على الجنازة ليس مثل علمائنا هولاء عبيد
بطونهم يجلس احدهم للعلم سنتين او ثلاثة فيشتري الضياع ويستفيد الاال
وقال العباس ابن مزيد سمعت اصحابنا يقولون صار الى الاوزاعي اكثر من سبعين
الف دينار يعني من السلطان من بني اميه وبني العباس فلما مات ما خلف الا سبع
دنانير بقيت من عطائه وما كان له ارض ولا دار قال ابن عباس نظرنا فاذا هو
اخرجها في سبيل الله وقد وصف الله تعالى العلما في كتابه بما وصف منها الخشية و
الخشوع والبكا كما سبق ذكره ومنها احتقار الدنيا والتزهيد فيها كما قال في
قصة قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا الى قوله
ولا يلقاها الا الصابرون قيل للامام احمد ابن المبارك قيل له كيف يعرف العالم العا
دق فقال الذي يزهد في الدنيا ويقبل على امر اخرته فقال احمد نعم هكذا ينبغي
ان يكون وكان الامام احمد ينكر على اهل العلم حب الدنيا والحرص على طلبها واعلم
انه ما هلك اهل العلم واحباب ساداتهم لجهالهم وتقديم جهال المتعبدين
عليهم ما دخل عليهم من الطمع في الدنيا وقد راى علي ابن ابي طالب رجل يقص فقا
ل له لا اسالنك مسئلة فان خرجت منها والا علوتك بهذه الدرة فقال الرجل

يا امير المومنين فقال له ما ثبات الدين وزواله فقال ثبات الدين
الورع وزواله الطمع قال له نقص فتسلك بقصد هذا السوال من علي رضي
الله عنه لهذا القاص فيه اشارة الى من نشر علمه للناس وتكلم عليهم فينبغي
ان يكون ورعا عما في ايديهم غير طامع في شئ من اموالهم ولا ارزاقهم ولا
اجتلاب قلوبهم اليه وانما ينشر علمه لله عز وجل وتعففه عن الناس با
لورع وفي سنن ابن ماجة عن ابن مسعود قال لو ان اهل العلم صانوا
العلم ووضعوه عند اهله لسادوا اهل زمانهم ولكن بذلوه لاهل الدنيا
لينالوا به من دنياهم لهانوا عليهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول من
جعل الهموم هما واحدا هم اخرته كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الهموم في
احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديتها هلك وقال ابو حازم الزاهد لقد
اتت علينا برهة من دهرنا وما عالم يطلب اميرا وكان الرجل اذا علم اكتفى با
لعلم عما سواه فكانت الامرا تغشاهم وتقتبس منهم فكان في ذلك صلاحا
للفريقين للمولى والمولى عليه ولما رات الامراء ان العلما قد غشيهم وجالسوهم
وسالوهم ما في ايديهم هانوا عليهم وتركوا الاقتباس منهم فكان في ذلك هلاكا للفر
يقين المولى والمولى عليه ودخل اعرابي البصرة فقال من سيد اهل هذه القرية
قالوا الحسن وقال وبما سادهم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنيا
هم وكان الحسن يقول ان لكل شيئا وشين العلم الطمع وقال من ازداد علما فاز
داد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله الا بعدا ولم يزدد الله له الا بغضا واجتا
ز الحسن يوما ببعض القرا على ابواب بعض السلاطين فقال افرحتم جباهكم
وفرطحتم نعالكم وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم الى ابوابهم فزهدوا فيكم اما
انكم لو جلستم في بيوتكم حتى يكون هم الذين يرسلون اليكم لكان اعظم لكم في اعينهم
تفرقوا فرق الله بين اعضائكم وفي رواية قال تفرقوا فرق الله بين ازواجكم
واجسادكم فرطحتم نعالكم وشمرتم ثيابكم وجززتم شعوركم وفضحتم القرا فضحكم
الله اما والله لو زهدتم فيما عندهم لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم

فزهدوا

فزهدوا فيما عندكم ابعدكم الله من ابعد وفي الجملة فمن لا يصون نفسه لا
ينتفع بعلمه ولا ينتفع غيره به قال الشافعي من قرا القران عظمت قيمته
ومن كتب الحديث قويت حجته ومن تفقه نبل مقداره ومن تعلم العربية رق
طبعه ومن تعلم الحساب جزل رايه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه وفي هذا
المعنى يقول ابا الحسن الجرجاني ابياته المشهورة السائرة

يقولون لي فيك انقباض وانما … راوا رجلا عن موقف الذل احجما
ارا الناس من داناهم هان عندهم … ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما … بدا طمع صيرته لي سلما
واذا قيل هذا منهل قلت ارى … ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي … لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
عاشقي به غرس واجنيه ذلة … اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم … ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اذلوه فهان ودنسوا … محياه بالاطماع حتى تجهما

الحرص على الدنيا والطمع فيها قبيح وهو من العلما اقبح فان كان بعد ترحل الشيب فهو
اقبح واقبح لبس بعض العلما من التابعين ثيابه وتهيا ليمضي الى بعض الملوك فاخذ المراة
فنظر فيها فراى في لحيته طاقة شيب فقال السلطان والشيب ثم نزع ثيابه وجلس

فذاك بعد ظلام الجهل ابصاري … للشيب صبح ينادي باسفاري
لليل الشباب فصبح فاشر منبلا … ان الصباح قصارى المدلج الساري
كم ذا اغتراري بالدنيا وزخرفها … ابني بناها على جرف لها هاري
دار ما نعماه يبقى ولذتها تفنى … الا فبحت ها انيك من دار
ليس السعيد الذي دنياه تسعده … ان السعيد الذي ينجو من النار
اصبحت من سيئاتي خايفا وجلا … والله يعلم اعلاني واسراري
اذا تعاظمني ذنبي واسفي … رجوت عفو عظيم العفو غفاري

اخره والحمد لله رب العالمين وصلى على محمد سيد المرسلين وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

كتاب بيان فضل علم السلف على الخلف للشيخ الامام العالم العلامة زين الدين عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي رحمه الله وعفى عنه بمنه وكرمه انه جواد كريم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اما بعد فهذه كلمات مختصرات في معنى العلم وانقسامه الى علم نافع وعلم غير نافع والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة الا بالله قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع وذكر العلم تارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فاما الاول فمثل قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط الاية وقوله رب زدني علما وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وما قصه الله تعالى من قصة ادم عليه السلام وتعليمه الاسماء وعرضهم على الملائكة وقولهم سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العزيز الحكيم وما قصه الله سبحانه من قصة موسى عليه السلام وقوله للخضر هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا فهذا هو العلم النافع وقد اخبر عن قوم انهم اوتوا علما ولم ينفعهم فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا قال تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه

بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايات الله الاية وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون الاية وقال تعالى واضله الله على علم واما العلم الذي ذكره الله تعالى على جهة الذم فقوله في السحر ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الاخرة من خلاق الاية وقوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وكذلك جاءت السنة بتقسيم العلم الى نافع وغير نافع والاستعاذة من العلم الذي لا ينفع وسؤال العلم النافع ففي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها وخرجه اهل السنن من وجوه متعددة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعضها ومن دعاء لا يسمع وفي بعضها اعوذ بك من هؤلاء الاربع وخرج النسائي من حديث جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اسالك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع وخرجه ابن ماجه ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله علما نافعا وتعوذوا بالله من علم لا ينفع وخرج الترمذي من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني اسالك انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علما وخرج النسائي من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وارزقني علما تنفعني به وخرج ابو نعيم من حديث انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم اني اسالك ايمانا دائما فرب ايمان غير دائم واسالك علما نافعا فرب علم غير نافع فرب علم غير نافع وخرج ابو

رضي الله عنه عن عمر

داود من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من البيا
ن سحرا وان من العلم جهلا وان صعصعة ابن صوحان فسر قوله وان
من العلم جهلا ان يتكلف العالم الى علمه ما لا يعلم فيجهله ذلك وتفسر ايضا
بان العلم الذي يضر ولا ينفع جهل لان الجهل به خير من العلم به فاذا كان
الجهل به خيرا منه فهو شر من الجهل وهذا كالسحر وغيره من العلوم المضرة في الد
ين او في الدنيا وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير بعض العلو
م التي لا تنفع ففي مراسيل ابي داود عن زيد ابن اسلم قال قيل يا رسول
الله ما اعلم فلانا قال بم قالوا بانساب الناس قال علم لا ينفع وجها
له لا تضر وخرجه ابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث بقية عن
ابن جريج عن عطا عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا وفيه انهم قالوا اعلم
الناس بانساب العرب واعلم الناس بالشعر وبما اختلف فيه العرب
وزاد في اخره العلم ثلاثة ما خلاهن فهو فضل اية محكمة او سنة قا
ئمة او فريضة عادلة وهذا الاسناد لا يصح وبقية دلسه عن غير ثقة واخر
الحديث خرجه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الله ابن عمرو ابن العا
ص مرفوعا العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة وفي اسناده عبد الرحمن ابن زياد الافريقي وفيه ضعف
مشهور وقد ورد بان يتعلم من الانساب ما توصل به الارحام من
حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا من
انسابكم ما تصلون به ارحامكم خرجه الامام احمد والترمذي وخرجه
حميد ابن زنجويه من طريق اخر عن ابي هريرة مرفوعا تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في
ظلمات البر والبحر ثم انتهوا وفي اسناد رواية ابن لهيعة وخرج ايضا
من رواية نعيم ابن ابي هند قال قال عمر رضي الله تعلموا من النجوم ما
تهتدون به في بركم وبحركم ثم امسكوا وتعلموا من النسب ما تصلون به ارحامكم

وتعلموا

وتعلموا ما يحل لكم من النساء وما يحرم عليكم ثم انتهوا وروى مسعر عن محمد
ابن عبد الله قال قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تعر
فون به القبلة والطريق وكان النخعي لا يرى باسا ان يتعلم الرجل من النجوم
ما يهتدي به ورخص في تعلم منازل القمر الامام احمد واسحق نقله عنهما
حرب زاد اسحق ويتعلم من اسماء النجوم ما يهتدي به وكره قتادة تعلم منا
زل القمر ولم يرخص فيه ابن عيينة فيه ذكره حرب عنهما وقال طاوس رب
ناظر في النجوم ومتعلم حروف ابا جاد ليس له عند الله خلاق خرجه حرب
وخرجه حميد ابن زنجويه من رواية طاوس عن ابن عباس وهذا محمول
على علم التاثيرات لا علم التسيير فان التاثير باطل محرم وفيه ورد الحديث
المرفوع من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر خرجه
ابو داود من حديث ابن عباس مرفوعا وخرج ايضا من حديث
قبيصة مرفوعا الحديث العيافة والطيرة والطرق من الجبت والعيافة
زجر الطير والطرق الخط في الا فعلم تاثير النجوم باطل محرم والعمل
بمقتضاه كالتقرب الى النجوم وتقريب القرابين لها كفر واما علم التسيير
فاذا تعلم ما يحتاج اليه للاهتداء ومعرفة القبلة والطرق كان جائزا
عند الجمهور وما زاد عليه فلا حاجة اليه وهو يشغل عما هو اهم منه وربما
ادى التدقيق فيه الى اساءة الظن بمحاريب المسلمين في امصارهم كما وقع
ذلك كثيرا من اهل هذا العلم قديما وحديثا وذلك يفضي الى اعتقاد خطا
الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الامصار وهو باطل وقد
انكر الامام احمد الاستدلال بالجدي وقال انما ورد ما بين المشرق و
المغرب قبلة يعني لم يرد اعتبار الجدي ونحوه من النجوم وقد انكر ابن مسعود
رضي الله عنه على كعب قوله ان الفلك يدور وانكر ذلك مالك وغيره وانكر
الامام احمد على المنجمين قولهم ان الزوال يختلف في البلدان وقد يكون انكا
رهم او انكار بعضهم لذلك لان الرسول لم يتكلم في ذلك وان كان اهله

يقطع بصبر ولان الاشتغال به ربما ادى الى فساد عريض وقد اعترض
بعض من يعرف هذا على حديث النزول ثلث الليل الاخر وقال ثلث الليل
يختلف باختلاف البلدان فلا يمكن ان يكون النزول في وقت معين
ومعلوم بالضرورة من دين الاسلام قبح هذا الاعتراض وان الرسول
صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدون لو سمعوا من يعترض به لما ناظروه
بل بادروا الى عقوبته والحاقه بزمرة المنافقين المكذبين وكذلك
التوسع في علم الانساب هو ما لا يحتاج اليه وقد سبق عن عمر وغيره
النهي عنه مع ان طايفة من الصحابة والتابعين كانوا يعرفونه ويعتنون
به وكذلك التوسع في علم العربية لغة ونحوا هو مما يشغل عن العلم الا
هم والوقوف معه يحرم علما نافعا وقد كره القاسم ابن مخيمرة علم النحو
وقال اوله شغل واخره بغي واراد به التوسع فيه وكذلك
كره الامام احمد التوسع في معرفة اللغة وغريبها وانكر على ابي عبيد
توسعه في ذلك فقال هو يشغل عما هو اهم منه ولهذا يقال العر
بية في الكلام كالملح في الطعام يعني انه يوخذ منها ما يصلح الكلام كما
يوخذ من الملح ما يصلح الطعام وما زاد على ذلك فانه يفسده وكذ
لك علم الحساب يحتاج منه الى ما يعرف به حساب ما يقع من قسمة
الفرايض والوصايا والاموال التي تقسم بين المستحقين لها والزايد
على ذلك مما لا ينتفع به الا في مجرد رياضة الاذهان وصقالها لا حا
جة اليه ويشغل عما هو اهم منه واما ما احدث بعد الصحابة من
العلوم التي توسع فيها اهلها وسموها علوما وظنوا ان من لم يكن
عالما بها فهو جاهل او ضال وكلها بدعة وهي من محدثات الامور
المنهي عنها فمن ذلك ما احدثته المعتزلة من الكلام في القدر وضرب
الامثال لله وقد روي النهي عن الخوض في القدر وفي صحيح ابن
حبان والحاكم مرفوعا لا يزال امر هذه الامة موافيا او مقاربا

ما لم يتكلموا في الولدان والقدر وقد روي موقوفا ورجح بعضهم
وقفه وخرج البيهقي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مر
فوعا اذا ذكر اصحابي فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا وقد روي من
وجوه متعددة في اسانيدها مقال وروي عن ابن عباس انه قال
لميمون ابن مهران اياك والنظر في النجوم فانها تدعو الى الكهانة وايا
ك والقدر فانه يدعو الى الزندقة واياك وشتم احد من اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم فيكبك الله في النار على وجهك وخرجه ابو نعيم مرفوعا و
لا يصح رفعه والنهي عن الخوض في القدر يكون على وجوه منها ضرب
كتاب الله بعضه ببعض فينتزع المثبت للقدر اية والنافي له
باخرى ويقع التجادل في ذلك وهذا قد روي انه وقع في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وان النبي صلى الله عليه وسلم غضب من ذلك ونهى عنه
وهذا من جهة الاختلاف في القران والمراء فيه وقد نهي عن ذلك و
منها الخوض في القدر اثباتا ونفيا بالاقيسة العقلية كقول القد
رية لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالما وقول من خالفهم ان
الله جبر العباد على افعالهم ونحو ذلك ومنها الخوض في سر القدر
وقد ورد النهي عنه عن علي وغيره من السلف فان العباد لا يطلعون
على حقيقة ذلك ومن ذلك اعني محدثات الامور ما احدثه المعتزلة
ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله تعالى وصفاته بادلة العقول
وهذا اشد خطرا من الكلام في القدر لان الكلام في القدر كلام في افعا
له وهذا كلام في ذاته وصفاته وانقسم هولاء الى قسمين
احدهما من نفى كثيرا مما ورد به الكتاب والسنة من ذلك لا
ستلزامه عنده التشبيه بالمخلوقين كقول المعتزلة لو رئي لكان جسما
لانه لا يرى الا في جهة وقولهم لو كان له كلام يسمع لكان جسما ووافقهم من
نفى الاستواء فنفوه لهذه الشبهة وهذا طريق المعتزلة والجهمية

وقد اتفق السلف على تبديعهم وتضليلهم وقد سلك سبيلهم كثير
في بعض الامور ممن انتسب الى السنة والحديث من المتاخرين والتشا
غل من رام اثبات ذلك بادلة العقول التي لم يرد بها الاثر ورد اولئك
مقالتهم كما هي طريقة مقاتل ابن سليمان ومن تابعه كنوح ابن ابي مر
يم وتابعهم طائفة من المحدثين قديما وحديثا وهو ايضا مسلك الكرا
مية فمنهم من اثبت لاثبات هذه الصفات الجسم اما لفظا واما
معنى ومنهم من اثبت لله صفات لم يات بها الكتاب والسنة كالحركة و
غير ذلك مما هي عنده لازم الصفات الثابتة وقد انكر السلف على مقا
تل قوله في رده على جهم بادلة العقل وبالغوا في الطعن عليه ومنهم
من استحل قتله منهم مكي ابن ابرهيم شيخ البخاري وغيره والصواب
ما عليه السلف الصالح من امرار ايات الصفات واحاديثها كما جا
ءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل ولا يصح عن احد منهم خلا
ف ذلك البتة خصوصا الامام احمد ولا خوضا في معانيها ولا ضرب
الامثال لها وان كان بعض من كان قريبا من زمن الامام احمد فيهم
من فعل شيئا من ذلك اتباعا لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك انما
الاقتداء بائمة الاسلام كابن المبارك ومالك والثوري والاوزا
عي والامام احمد واسحق وابي عبيد ونحوهم وهؤلاء لا يوجد
في كلامهم شيئا من جنس كلام المتكلمين فضلا عن كلام الفلاسفة ولم
يدخل ذلك في كلام من سلم من قدح وجرح وقد قال ابو زرعة
الرازي كل من كان عنده علم فلم يصن علمه فاحتاج في نشره الى شيء
من الكلام فلستم منه ومن ذلك اعني محدثات العلوم ما
احدثه فقهاء اهل الراي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع
الفقه اليها وسوا خالفت السنن ام وافقتها طردا لتلك القواعد
المقررة وان كان اصلها مما تاولوه على نصوص الكتاب والسنة لكن

بتاويلات

بتاويلات يخالفهم فيها غيرهم وهذا الذي نكره ائمة الاسلام على
من انكروه من فقهاء اهل الراي بالحجاز والعراق وبالغوا في ذمه
وانكاره واما الائمة وفقهاء اهل الحديث فانهم يتبعون الحديث الصحيح
حيث كان اذا كان معمولا به عند الصحابة ومن بعدهم او عند طائ
فة منهم فاما ما اتفق السلف على تركه فلا يجوز العمل به لانهم ما تركوه
الا على علم انه لا يعمل به قال عمر ابن عبد العزيز خذوا من الراي ما
يوافق من كان قبلكم فانهم كانوا اعلم منكم فاما ما خالف عمل اهل المدينة
من الحديث فهذا كان مالك يرى الاخذ بعمل اهل المدينة والاكثرون
اخذوا بالحديث ومما انكره ائمة السلف الجدال والخصام والمراء في
مسائل الحلال والحرام ايضا ولم يكن ذلك طريقة ائمة الاسلام وانما
حدث ذلك بعدهم كما احدثه فقهاء العراقيين في مسائل الخلاف بين الشا
فعية والحنفية وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها
وكل ذا محدث لا اصل له وصار ذلك علمهم حتى شغلهم عن العلم النا
فع وقد انكر ذلك السلف وورد في الحديث المرفوع في السنن ما
ضل قوم بعد هدي الا اوتوا الجدال ثم قرا ما ضربوه لك الا جدلا بل
هم قوم خصمون وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد خيرا فتح
له باب العمل واغلق عنه باب الجدل واذا اراد الله بعبد شرا اغلق
عنه باب العمل وفتح له باب الجدل وقال مالك ادركت اهل
هذه البلدة وانهم ليكرهون الاكثار الذي فيه الناس اليوم يريد
المسائل وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا ويقول يتكلم احدهم كانه
جمل مغتلم يقول كذا وهو كذا يهدر في كلامه وكان يكره الجواب
في كثرة المسائل ويقول قال الله عز وجل ويسالونك عن الروح
قل الروح من امر ربي الاية فلم ياته في ذلك جوابا وقيل له الرجل يكون
عالما بالسنن يجادل عنها قال لا ولكن يخبر بالسنة فان قبل والا

والا سكت وقال المرا والجدل في العلم يذهب بنور العلم وقال المرا
في العلم يقسي القلب ويورث الضغن وكان يقول في المسايل التي ليس
لكثير لا ادري وكان الامام احمد يسلك سبيله في ذلك وقد ورد النهي
عن كثرة المسايل وعن اغلوطات المسايل وعن المسايل قبل وقوع
الحوادث وفي ذكرها يطول ذكره ومع هذا ففي كلام السلف والا
ئمة كمالك والشافعي والامام احمد واسحق التنبيه على ماخذ الفقه ومدا
رك الاحكام بكلام وجيز مختصر يفهم به المقصود من غير اطالة ولا اسها
ب وفي كلامهم من رد الاقوال المخالفة للسنة بالطف اشارة واحسن
عبارة بحيث يغني ذلك من فهمه عن اطالة المتكلمين في ذلك بعدهم
بل ربما لم يتضمن تطويل كلام من بعدهم من الصواب في ذلك ما تضمنه
كلام السلف والايمة مع اختصاره وايجازه فما سكت من سكت عن
كثرة الخصام والجدل من سلف الامة جهلا ولا عجزا ولكن سكتوا عن
علم وخشية لله عز وجل وما تكلم من تكلم وتوسع من توسع بعدهم لاختصا
صه بعلم دونهم ولكن حبا للكلام وقلة الورع كما قال الحسن
وسمع قوما يتجادلون هولاء قوم ملوا العبادة وخف عليهم القول
وقل ورعهم فتكلموا وقال مهدي ابن ميمون سمعت محمد ابن سيرين
وماراه رجل ففطن له فقال اني اعلم ما تريد لو اردت ان اماريك كنت
عالما بابواب المرا وفي رواية قال انا اعلم بالمرا منك ولكن لا اما
ريك وقال ابرهيم النخعي ما خاصمت قط وقال عبد الكريم الجزري
ما خاصم ورع قط وقال جعفر ابن محمد اياكم والخصومات
في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق وكان عمر ابن عبد العز
يز يقول اذا سمعت المرا فاقصر وقال من جعل دينه غرضا للخصوما
ت اكثر التنقل وقال ان السابقين عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا
وكانوا هم اقوى على البحث لو بحثوا وكلام السلف في العلم كثير

جدا

جدا وقد فتن كثير من المتاخرين بهذا وظنوا ان من كثر كلامه وجدا
له وخصامه في مسايل الدين فهو اعلم ممن ليس كذلك وهذا جهل محض
وانظر الى اكابر الصحابة رضي الله عنهم وعلمائهم كابي بكر وعمر وعلي و
معاذ وابن مسعود وزيد ابن ثابت كيف كانوا كلامهم اقل من كلا
م ابن عباس وهم اعلم منه وكذلك كلام التابعين اكثر من كلام الصحا
بة والصحابة اعلم منهم وكذلك تابعو التابعين كلامهم اكثر من كلا
م التابعين والتابعون اعلم منهم فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة
المقال ولكنه نور يقذف في القلب يعرف به العبد الحق و
يميز به بينه وبين الباطل ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة
للمقاصد وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اوتي جوامع الكلم واختصر
له الكلام اختصارا ولهذا ورد النهي عن كثرة الكلام والتوسع في
القيل والقال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا
الا مبلغا وان تشقيق الكلام من الشيطان يعني ان النبي صلى الله عليه
وسلم انما يتكلم بما يحصل به البلاغ واما كثرة القول وتشقيق الكلام
فانه مذموم وكانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قصدا وكان يحدث
حديثا لو عده العاد لاحصاه وقال ان من البيان سحرا وانما قاله في
ذم ذلك لا مدحا له كما ظن ذلك من ظنه ومن تامل سياق الفاظه
الحديث قطع بذلك وفي الترمذي وغيره عن عبد الله ابن عمرو مرفوعا
ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة
بلسانها وفي المعنى احاديث كثيرة مرفوعة وموقوفة على عمر وسعد
وابن مسعود وعايشة وغيرهم من الصحابة فيجب ان يعتقد انه ليس
من كثر بسطه للقول وكلامه في العلم اعلم ممن ليس كذلك وقد
ابتلينا بجهلة من الناس يعتقدون في بعض من توسع في القول
من المتاخرين انه اعلم ممن تقدم فمنهم من يظن في شخص انه اعلم من

من كل من تقدم من الصحابة ومن بعدهم لكثرة بيانه ومقاله ومنهم
من يقول هو اعلم من الفقها المشهورين المتبوعين وهذا
يلزم منه ما قبله لان هؤلاء الفقها المشهورين المتبوعين اكثر
قولا ممن كان قبلهم فاذا كان من بعدهم اعلم منهم لاتساع قوله
كان اعلم ممن كان اقل منهم قولا بطريق الاولى كالثوري والاوزاعي
والليث وابن المبارك وطبقتهم وممن قبلهم من التابعين والصحا
بة ايضا فان هؤلاء كلهم اقل كلاما ممن جاء بعدهم وهذا
تنقص عظيم بالسلف الصالح واساءة ظن بهم ونسبة الى الجهل
وقصور العلم ولا حول ولا قوة الا بالله ولقد صدق ابن مسعود
في الصحابة انهم ابر الامة قلوبا واعمقها علوما واقلها تكلفا
وروي نحوه ايضا عن عمر وفي هذا اشارة الى ان من بعدهم
اقل علوما واكثر تكلفا وقال ابن مسعود ايضا انكم في زمان
كثير علماؤه قليل خطباؤه فمن كثر علمه وقل قوله فهو الممدوح
ومن كان بالعكس فهو المذموم وقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم
لاهل اليمن بالايمان والفقه واهل اليمن اقل الناس كلاما وتو
سعا في العلوم لكن علمهم علم نافع في قلوبهم ويعبرون بالسنتهم
عن القدر المحتاج اليه من ذلك فهذا هو الفقه والعلم النافع فا
فضل العلوم في تفسير القران ومعاني الحديث والكلام
في الحلال والحرام ما كان ماثورا عن الصحابة والتابعين وتابعيهم
الى ان ينتهي الى زمن ائمة الاسلام المشهورين المقتدى بهم الذين
سميناهم فيما سبق فضبط ما روي عنهم في ذلك افضل العلم مع
تفهمه وتعقله والتفقه فيه وما حدث بعدهم من التوسع لا خير
في كثير منه الا ان يكون شرحا لكلام يتعلق من كلامهم واما ما كا
ن مخالفا لكلامهم فاكثره باطل ولا منفعة فيه وفي كلامهم في ذ

لك

لك كفاية وزيادة فلا يوجد في كلام من بعدهم حق الا وهو في
كلامهم موجود باوجز لفظ واخصر عبارة ولا يوجد في كلام من
بعدهم من باطل الا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه وتامله
ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والماخذ الدقيقة ما لا يهتد
ي اليه من بعدهم ولا يلم به فمن لم ياخذ العلم من كلامهم فاته الخير ذلك
كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تاخر عنهم ويحتاج من
اراد جمع كلامهم الى معرفة صحيحه من سقيمه وذلك بمعرفة الجرح والتعديل
والعلل فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه
بباطله ولا يثق بما عنده من ذلك كما يرى من قل علمه بذلك لا يثق بما يرو
ى عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن السلف لجهله بصحيحه من سقيمه
فهو لجهله يجوز ان يكون كله باطلا لعدم معرفته بما يعرف به صحيح
ذلك وسقيمه قال الاوزاعي العلم ما جاء به اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
فما كان غير ذلك فليس بعلم وكذلك قال الامام احمد وقال في التابعين
انت مخير بين كتابته وتركه وقد كان الزهري ذلك وخالفه صالح بن كيسا
ن ثم ندم على تركه كلام التابعين وفي زماننا يتعين كتابة ائمة السلف ا
لمقتدى بهم الى زمان الشافعي والامام احمد واسحق وابو عبيد وليكن الا
نسان على حذر مما حدث بعدهم فانه حدث بعدهم حوادث كثيرة وحد
ث من انتسب الى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم وهو
اشد مخالفة لها لشذوذه عن الائمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه اوبا
خذ ما لم ياخذ به الائمة ممن قبله فاما الدخول مع ذلك في كلام المتكلمين
او الفلاسفة فشر محض وقل من دخل في شيء من ذلك الا وتلطخ ببعض
اوضارهم كما قال الامام احمد لا يخلو من نظر في الكلام الا تجهم وكا
ن هو وغيره من ائمة السلف يحذرون من اهل الكلام وان ذبوا عن السنة
واما ما يوجد في كلام من احب الكلام المحدث واتبع اهله من ذم من لا

يتوسع في الخصومات والجدال ونسبته الى الجهل والى الحشو والى انه
غير عارف بالله او غير عارف بدينه فكل ذلك من خطوات الشيطان نعوذ
بالله منه ومما احدث من العلوم الكلام في العلوم الباطنة من المعا
رف واعمال القلوب وتوابع ذلك بمجرد الراي والذوق والكشف
وفيه خطر عظيم وقد انكره اعيان الائمة كالامام احمد وغيره وكان
ابو سليمان يقول انه ليمر بي النكتة من نكت القوم فلا اقبلها الا بشا
هدين عدلين الكتاب والسنة وقال الجنيد علمنا هذا مقيد على الكتا
ب والسنة من لم يقرا القران ويكتب الحديث لا يقتدى به في علمنا هذا
وقد اتسع الخرق في هذا الباب ودخل فيه قوم الى انواع الزندقة
والنفاق ودعوى ان اولياء الله افضل من الانبيا وانهم مستغنو
عنهم والى التنقص مما جاءت به الرسل من الشرايع والى دعوى الحلول و
الاتحاد والقول بوحدة الوجود وغير ذلك من اصول الكفر والفسوق
والعصيان لدعوى الاباحة وحل محظورات الشرايع وادخلوا في
هذا الطريق اشياء كثيرة ليست من الدين فبعضها زعموا انه يحصل
به ترقيق القلوب كالغنا والرقص وبعضها زعموا انه يراد لرياضة
النفوس كعشق الصور المحرمة ونظرها وبعضها زعموا انه لكسر النفوس
والتواضع كشهرة اللباس وغير ذلك مما لم تات به الشريعة وبعضه
يصد عن ذكر الله وعن الصلاة كالغنا والنظر المحرم وشابهوا بذلك الذ
ين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا فالعلم النافع من هذه العلوم كلها
ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها والتقيد في ذلك بالما
ثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القران والحديث فيما
ورد عنهم من الكلام في مسايل الحلال والحرام والزهد والرقايق والمعا
رف وغير ذلك والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه اولا ثم الاجتهاد
على الوقوف على معانيه وتفهمه ثانيا في ذلك كفاية لمن عقل وشغل لمن

بالعلم

بالعلم النافع عني واشتغل ومن وقف على هذا واخلص القصد فيه
لوجه الله تعالى واستعان عليه اعانه وهداه ووفقه وسدده وفهمه و
الهمه وحينئذ يثمر له هذا العلم ثمرته الخاصة وهي خشية الله كما قال تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء وقال ابن مسعود وغيره كفى بخشية الله علما و
كفى بالاغترار بالله جهلا وقال بعض السلف ليس العلم بكثرة الرواية ولكن
العلم الخشية وقال بعضهم من خشي الله فهو عالم ومن عصاه فهو
جاهل وكلامهم في هذا المعنى كثير جدا وسبب ذلك ان هذا العلم النا
فع يدل على امرين احدهما على معرفة الله وما يستحقه من الاسماء الحسنى
والصفات العليا والافعال الباهرة وذلك يستلزم اجلاله واعظا
مه وخشيته ومهابته ومحبته ورجاه والتوكل عليه والرضا بقضا
ئه والصبر على بلائه والامر الثاني المعرفة بما يحبه ويرضاه وما
يكرهه ويسخطه فاذا اثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع فمتى كان العلم
نافعا ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له وذل هيبة واجلا
لا وخشية ومحبة وتعظيما ومتى خشع القلب لله وذل وانكسر له قنعت
النفس بيسير الحلال من الدنيا وشبعت به فاوجب ذلك
لها القناعة والزهد في الدنيا وكل ما هو فان لا يبقى من المال والجا
ه وفضول العيش الذي ينقص به حظ صاحبه عند الله من نعيم الا
خرة وان كان كريما على الله كما قال ذلك ابن عمر وغيره من السلف وروي
مرفوعا ويوجب ذلك ان يكون بين العبد وبين ربه معرفة خاصة فان
ساله اعطاه وان دعاه اجابه كما قال في الحديث الالهي ولا يزال عبدي
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الى قوله ولئن سالني لاعطينه ولئن استعا
ذني لاعيذنه وفي رواية ولئن دعاني لاجبته وفي وصيته صلى الله عليه وسلم
لابن عباس احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله
في الرخا يعرفك في الشدة فالشان في ان العبد يكون بينه وبين ربه معرفة

خاصة بقلبه بحيث يجده قريبا منه فيستانس به في خلوته ويجد حلا
وة ذكره ودعائه ومناجاته وخدمته ولا يجد ذلك الا من اطاعه
في سره وعلانيته كما قيل لوهيب ابن الورد يجد حلاوة الطاعة
من عصى قال لا ولا من هم ومتى وجد العبد هذا فقد عرف ربه و
صار بينه وبينه معرفة خاصة فاذا ساله اعطاه واذا دعاه اجا
به كما قالت شعوانة لفضيل ما بينك وما بين ربك ما دعوته اجابك
فغشي والعبد لا يزال يقع في شدائد وكرب في الدنيا والبرزخ وفي الموقف
فاذا كان بينه وبين ربه معرفة خاصة كفاه الله ذلك كله وهذا هو المشا
ر اليه في وصية ابن عباس بقوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخا
يعرفك في الشدة وقيل لمعروف ما الذي هيجك الى الانقطاع وذكر له
الموت والقبر والموقف والجنة والنار فقال ان ملكا هذا كله
بيده ان كانت بينك وبينه معرفة كفاه هذا كله فالعلم النافع ما
عرف بين العبد وربه ودله عليه حتى عرف ربه ووحده وانس به وا
ستحيا من قربه وعبده كانه يراه ولهذا قالت طائفة من الصحابة ان
اول علم يرفع من الناس الخشوع وقال ابن مسعود ان قوما يقرؤن القران
لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب ورسخ فيه نفع وقال الحسن العلم
علمان فعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم وعلم في القلب فذلك
العلم النافع وكان السلف يقولون العلماء ثلاثة عالم بالله عالم بامره
وعالم بالله ليس عالم بامره وعالم بامر الله ليس عالم بالله واكملهم الاول وهو
الذي يخشى الله ويعرف احكامه والشان كله في ان العبد يستدل بالعلم
على ربه فيعرفه فاذا عرف ربه فقد وجده منه قريبا وتقرب اليه واجاب
دعاءه كما في الاثر الاسرائيلي كما في الاثر الاسرائيلي ابن ادم اطـ
اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شيء وان فتك
فاتك كل شيء وانا احب اليك من كل شيء وكان ذو النون يكرر هذه

الابيات

الابيات بالليل   اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا   قد وجدت
لي سكنا ليس في هواه عنا   ان بعدت قربني   وان قربت منه دنا
وكان الامام احمد رضي الله عنه يقول عن معروف معه اصل العلم
خشية الله واصل العلم بالله الذي يوجب خشيته ومحبته والقرب
منه والانس به والشوق اليه ثم يتلوه العلم باحكام الله وما يحبه وير
ضاه من العبد من قول او عمل او حال او اعتقاد فمن تحقق بهذين
العلمين كان علمه علما نافعا وحصل له العلم النافع والقلب الخاشع
والنفس القانعة والدعوة المسموعة ومن فاته هذا العلم النافع و
قع في الاربع التي استعاذ منها النبي صلى الله عليه وسلم وصار علمه و
بالا وحجة عليه فلم ينتفع به لانه لم يخشع قلبه لربه ولم تشبع نفسه
من الدنيا بل ازداد عليها حرصا ولها طلبا ولم يسمع دعاؤه لعدم امتثا
له لاوامر ربه وعدم اجتنابه لما يسخطه ويكرهه هذا ان كان علمه علما
يمكن الانتفاع به وهو المتلقى عن الكتاب والسنة   كان متلقى عن
غير ذلك فهو غير نافع في نفسه ولا يمكن الانتفاع به بل ضره اكثر من نفعه
وعلامة هذا العلم الذي لا ينفع ان يكسب صاحبه الزهو والفخر والخيلا
وطلب العلو والرفعة في الدنيا والمنافسة فيها وطلب مباهات العلما
ومماراة السفهاء وصرف وجوه الناس اليه وقد ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه من طلب العلم لذلك فالنار النار وربما ادعى بعض اصحاب
هذه العلوم معرفة الله وطلبه والاعراض عما سواه وليس غرضهم بذ
لك الا طلب التقدم في قلوب الناس من الملوك وغيرهم واحسان
ظنهم بهم وكثرة اتباعهم والتعظم بذلك على الناس وعلامة ذلك اظهار د
عوى الولاية كما كان يدعيه اهل الكتاب وكما ادعاه القرامطة والبا
طنية ونحوهم وهذا بخلاف ما كان عليه السلف من احتقار نفوسهم
وازدرائها وقال عمر انه من قال هو عالم فهو جاهل ومن قال انه مؤمن

فهو في النار

فهو كافر ومن قال انه في الجنة ومن علامات ذلك عدم قبول
الحق والانقياد اليه والتكبر على من يقول الحق خصوصا ان كان دونهم
في اعين الناس والاصرار على الباطل خشية تفرق قلوب الناس عنهم
باظهار الرجوع الى الحق وربما اظهروا بالسنتهم ذم نفوسهم واحتقارها
على رؤس الاشهاد ليعتقد الناس انهم في نفوسهم متواضعون فيمدحو
ن بذلك وهو من دقائق ابواب الرياء كما نبه التابعون فمن بعدهم
من العلماء ويظهر منهم من قبول المدح واستجلابه ما ينافي الصدق
والاخلاص فان الصادق يخاف النفاق على نفسه ويخشى على نفسه
من سوء الخاتمة فهو في شغل شاغل عن قبول المدح واستحسانه
فلهذا كان من علامات اهل العلم النافع انهم لا يرون لانفسهم حالا
ولا مقاما ويكرهون بقلوبهم التزكية والمدح ولا يتكبرون على احد قا
ل الحسن انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الاخرة البصير بدينه
المواظب على عبادة ربه وفي رواية عنه قال الذي لا يحسد من
فوقه ولا يسخر ممن دونه ولا ياخذ على علم علمه الله اجرا وهذا الكلام
الاخير قد روي عن ابن عمر معناه من قوله واهل العلم النا
فع كلما ازدادوا من هذا العلم تواضعا وخشية وانكسارا وذلا
قال بعض السلف ينبغي للعالم ان يضع التراب على راسه توا
ضعا لربه فانه كلما ازداد علما بربه ومعرفة به ازداد منه خشية
ومحبة وازداد له ذلا وانكسارا ومن علامات العلم النافع
انه يدل صاحبه على الهرب من الدنيا واعظمها الرياسة والمدح والشهرة
فالتباعد عن ذلك والاجتهاد في مجانبته من علامات العلم النافع
فان وقع شيء من ذلك من غير قصد واختيار كان صاحبه في خوف
شديد من عاقبته بحيث يخشى ان يكون مكرا واستدراجا كما كان
احمد يخاف ذلك على نفسه عند اشتهار اسمه وبعد صيته ومن علامات

العلم

العلم النافع ان صاحبه لا يدعي العلم ولا يفخر به على احد ولا ينسب
غيره الى الجهل الا من خالف السنة واهلها فانه يتكلم فيه غضبا لله لا
غضبا لنفسه ولا قصدا لرفعتها على احد واما من علمه غير نافع فليس له
شغل سوى التكبر بعلمه على الناس ونسبتهم الى الجهل وتنقصهم ليرتفع
بذلك عليهم وهذا من اقبح الخصال واردئها وربما نسب من كان
قبله من العلماء الى الجهل والغفلة والسهو فيوجب له حب نفسه
وحب ظهورها واحسان ظنه بها واساءة ظنه بمن سلف و
اهل العلم النافع على ضد هذا يسيئون الظن بانفسهم ويحسنون الظ
الظن بمن سلف من العلماء ويقرون بقلوبهم وانفسهم بفضل من
سلف عليهم وبعجزهم عن بلوغ مراتبهم والوصول اليها ومقاربتها
وما احسن قول ابي حنيفة وقد سئل عن علقمة والاسود ايهما افضل
فقال والله ما نحن باهل ان نذكرهم فكيف نفضل بينهم وكان ابن المبا
رك اذا ذكر اخلاق من سلف ينشد

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

ومن علمه غير نافع اذا راى لنفسه فضلا على من تقدمه في المقال و
تشقيق الكلام ظن لنفسه فضلا عليهم في العلم والدرجة عند الله
لفضل خص به عمن سبق فاحتقر من تقدمه وازدرى عليه بقلة
العلم ولا يعلم المسكين ان قلة كلام من سلف كان ورعا وخشية
لله ولو ارادوا الكلام واطالته لما عجزوا عن ذلك كما قال ابن عباس لقوم
سمعهم يتمارون في الدين اما علمتم ان لله عبادا اسكتتهم خشيته من
غير عي ولا بكم وانهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء العلماء بايا
م الله غير انهم اذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك عقولهم وانكسرت قلو
بهم وانقطعت السنتهم حتى اذا استفاقوا من ذلك تسارعوا الى الله بالا
عمال الزاكية يعدون انفسهم مع المفرطين وانهم لاكياس اقوياء

ومع الضالين والخاطئين وانهم لا يرادون الا انهم لا يستكثرونه
لله كثيرا ولا يرضون لله بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال هم حيث
ما لقيتهم مهمومون مشفقون وجلون خائفون اخرجه ابو نعيم وغيره
وخرج الامام احمد رضي الله عنه والترمذي من حديث ابي امامة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا والعي شعبتان من
الايمان والبذا والبيان شعبتان من النفاق وحسنه الترمذي وخرجه
الحاكم وصححه وخرج ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال البيان من الله والعي من الشيطان وليس البيان بكثرة الكلام
ولكن من سفه الحق وفي مراسيل محمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاث ينقصن من العبد في الدنيا ويدركن في الاخرة ما هو
اعظم من ذلك الرحم والحيا وعي اللسان قال عون بن عبد الله ثلاث
من الايمان الحيا والعفاف والعي عي اللسان لا عي القلب ولا عي العمل وهن
مما يزدن في الاخرة وينقصن من الدنيا وما يزدن في الاخرة اكثر مما ينقصن
في الدنيا وروي هذا مرفوعا من وجه ضعيف وقال بعض السلف
ان كان الرجل ليجلس الى القوم فيرون ان به عيا وانه لفقيه مسلم فمن عرف
تلك السلف عرف ان سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة
الجدال والخصام والزيادة في البيان على قدر الحاجة لم يكن عيا
ولا جهلا ولا قصورا وانما كان ورعا وخشية لله واشتغالا عما لا ينفع
بما ينفع وسوا في ذلك كلامهم في اصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن
والحديث وفي الزهد والرقايق وفي الحكم والمواعظ وغير ذلك مما تكلموا فيه
فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السوال
والبحث والجدال والقيل والقال فان اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه
بالنقص كان حاله قريبا وقد قال اياس بن معاوية ما من احد لا يعرف
عيبه الا وهو احمق قيل له فما عيبك قال كثرة الكلام وان ادعى

لنفسي

لنفسي الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالا مبينا وخسر خسرانا
عظيما وفي الجملة ففي هذه الازمان الفاسدة اما ان يرضى الانسان
لنفسه ان يكون عالما عند الله ولا يرضى الا بان يكون عند اهل الزمان
عالما فان رضي بالاول فليكتف بعلم الله فيه ومن كان بينه وبين الله معرفة
اكتفى بمعرفة الله اياه ومن لم يرض الا بان يكون عالما عند الناس دخل في
قوله صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليباهي به العلما او يماري به السفهاء
او يصرف به وجوه الناس فليتبوأ مقعده من النار قال وهيب ابن الو
رد رب عالم وهو معدود عند الله من الجاهلين وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان اول من تسعر بهم النار ثلاثة احد
هم من قرأ القرآن وتعلم العلم ليقال هو عالم وهو قارئ ويقال له قد قيل ذلك
ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار فان لم يقنع نفسه بذلك حتى يصل الى
درجة الحكم بين الناس حيث كان اهل الزمان لا يعظمونه من لم كذلك
ولا يلتفتون فقد استبدل بالذي هو ادنى بالذي هو خير وانتقل من
درجة العلماء الى درجة الظلمة كما قال بعض السلف لما اريد على القضا
فاباه انما تعلمت العلم لاحشر به مع الانبيا لا مع الملوك فان العلما يحشرون
مع الانبيا والقضاة يحشرون مع الملوك ولا بد للمؤمن من صبر قليل
حتى يصل به الى درجة طويلة فان جزع ولم يصبر فهو كما قال ابن المبارك
من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يتمتع وكان الامام الشا
الشافعي رحمه الله تعالى ينشد

يا نفس ما هي الا صبر ايام ... كان مدتها اضغاث احلام
يا نفس جوزي عن الدنيا مبادرة ... وخل عنها فان العيش قدام

فنسال الله تعالى علما نافعا ونعوذ به من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن
نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع اللهم انا نعوذ بك من هؤلاء الاربع والحمد لله
رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

فصل

ومما ذم الله تعالى به اهل الكتاب من
قسوة القلوب بعد اتيانهم الكتاب ومشاهدتهم الايات كاحيا
القتيل المضروب ببعض البقرة ثم نهينا عن التشبه بهم في ذلك فقيل لنا
الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكو
نوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم
فاسقون وبين في موضع اخر سبب قسوة قلوبهم فقال تعالى فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية فاخبر ان قسوة قلوبهم كان عقو
بة لهم على نقضهم ميثاق الله وهو مخالفتهم لامره وارتكابهم لنهيه بعد
ان اخذت عليهم مواثيق الله وعهوده ان لا يفعلوا ذلك ثم قال تعالى يحر
فون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به فذكر ان قسوة قلوبهم
اوجبت لهم خصلتين مذمومتين احدهما تحريف الكلم عن مواضعه
والثاني نسيانهم حظا مما ذكروا به والمراد تركهم واهمالهم نصيبا مما ذكروا
به من الحكمة والموعظة الحسنة فنسوا ذلك وتركوا العمل به واهملوه وهذا
ن الامرين يوجدان في الذين فسدوا من علمائنا لمشابهتهم اهل الكتاب
احدهما تحريف الكلم فان من تفقه لغير العمل يقسو قلبه فلا يشتغل با
لعمل بل بتحريف الكلم وصرف الفاظ الكتاب والسنة عن مواضعها
والتلطف في ذلك بانواع الحيل اللطيفة من حملها على مجازات اللغة
المستبعدة ونحو ذلك والطعن في الفاظ الكتاب ويذمون من تمثل با
لنصوص واجراها على ما يفهم منها ويسمونه جاهلا او حشويا وهذا يوجد
في المتكلمين في اصول الديانات وفي فقهاء الراي وفي صوفية الفلاسفة
والمتكلمين والثاني نسيان حظ مما ذكروا به من العلم النافع فلا تتعظ
قلوبهم بل يذمون من تعلم ما يبكيه ويرق به قلبه ويسمونه قاصا وينقل بعض
اهل الراي في كتبهم عن بعض شيوخهم ان ثمرات العلوم تدل على شرفها فمن
اشتغل بالتفسير فغايته ان يقص على الناس ويذكرهم ومن اشتغل برايهم

وعلمهم يفتي ويقضي ويحكم ويدرس فهؤلاء لهم نصيب من الذين يعلمون
ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وحملهم على هذا شدة
محبتهم للدنيا وعلوها ولو انهم زهدوا في الدنيا ورغبوا في الاخرة ونصحوا
انفسهم وعباد الله لتمسكوا بما انزل الله على رسوله والزموا الناس بذلك فكا
ن الناس حينئذ اكثرهم لا يخرجون عن التقوى فكان يكفيهم ما في نصوص
الكتاب والسنة ومن خرج منهم عنها كان قليلا فكان الله يقيض من يفهم
معاني النصوص ما يرد به الخارج عنها الى الرجوع اليها ويستغنى بذلك عما
ولدوه من الفروع الباطلة والحيل المحرمة التي بسببها فتح ابواب الربا وغيره
من المحرمات واستحلت محارم الله بادنى الحيل كما فعل اهل الكتاب فهدى الله
الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم اخره والحمد لله رب العالمين

الفرق بين النصيحة والتعيير

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين الحمد لله رب العالمين وصلاته و
سلامه على امام المتقين وخاتم النبيين واله وصحبه اجمعين والتابعين لهم
باحسان الى يوم الدين اما بعد فهذه كلمات مختصرة
جامعة في الفرق بين النصيحة والتعيير فانهما يشتركان في ان كل منهما ذكر الا
نسان بما يكره ذكره وقد يشتبه الفرق بينهما عند كثير من الناس والله الموفق
للصواب اعلم ان ذكر الانسان بما يكره محرم اذا كان المقصود
منه مجرد الذم والعيب والنقص فاما ان كان فيه مصلحة لعامة المسلمين او خاصة

لبعضهم وكان المقصود منه تحصيل تلك المصلحة فليس بمحرم بل مندوب
اليه وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل وذكروا الفرق
بين جرح الرواة وبين الغيبة وردوا على من سوى بينهما من المتعبدين
وغيرهم ممن لا يتسع علمه ولا فرق بين الطعن في رواة الفاظ الحديث
ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل وبين تبيين خطا
من اخطا في فهم معاني الكتاب والسنة وتاول شيئا منها على غير تاويله
وتمسك بما لا يتمسك به ليحذر من الاقتداء به فيما اخطا فيه وقد اجمع العلما
على جواز ذلك ايضا ولهذا تجد في كتبهم المصنفة في انواع العلوم ولا تجد الشرعية من التفسير صح
~~فيه طعنا على من رد عليه~~ التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلما وغير
ذلك ممتليه من المناظرات ورد اقوال من تضعف اقواله من ائمة
السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ولم يترك ذلك احد من
اهل العلم ولا ادعى فيه طعنا على من رد عليه قوله ولا ذما ولا نقصا
اللهم الا ان يكون المصنف يفحش في الكلام ويسيء الادب في العبارة
فينكر عليه فحاشته واساءته دون اصل رده ومخالفته اقامة للحجج
الشرعية والادلة المعتبرة وسبب ذلك ان علماء الدين كلهم مجمعون
على قصد اظهار الحق الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم وان يكون
الدين كله لله وان تكون كلمته هي العليا وكلهم معترفون بان الاحاطة
بالعلم كله من غير شذوذ شيء منه ليس هو مرتبة احد منهم ولا ادعاه احد من
المتقدمين ولا من المتاخرين فلهذا كان ائمة السلف المجمع على علمهم وفضلهم
يقبلون الحق ممن اورده عليهم وان كان صغيرا ويوصون اصحابهم واتباعهم
بقبول الحق اذا ظهر في غير قولهم كما قال عمر في مهور النسا وردت تلك
المراة عليه بقوله تعالى واتيتم احداهن قنطارا فرجع عن قوله وقال اصابت
امراة ورجل اخطا وروي عنه انه قال كل احد افقه من عمر وكان بعض
المشهورين اذا قال في رايه بشيء يقول هذا راينا فمن جاءنا براي احسن منه

قبلناه

قبلناه وكان الشافعي يبالغ في هذا المعنى ويوصي اصحابه باتباع الحق وقبول
السنة اذا ظهرت لهم على خلاف قولهم وان يضرب بقوله حينئذ الحائط
وكان يقول في كتبه لا بد ان يوجد فيها ما يخالف الكتاب والسنة لان الله
تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وابلغ من
هذا انه قال ما ناظرني احد فباليت اظهرت الحجة على لسانه او على لساني
وهذا يدل على انه لم يكن له قصد الا في ظهور الحق ولو كان على لسان غيره
ممن يناظره او يخالفه ومن كانت هذه حاله فانه لا يكره ان يرد عليه قوله
ويتبين له مخالفته للسنة لا في حياته ولا في مماته وهذا هو الظن بغيره من ائمة
الاسلام الذابين عنه القائمين بنصره من السلف والخلف ولم يكونوا يكرهون
مخالفة من خالفهم ايضا بدليل عرض له ولو لم يكن ذلك الدليل قويا عندهم
بحيث يتمسكون به ويتركون دليلهم له ولهذا كان الامام احمد يذكر اسحق بن
راهويه ويمدحه ويثني عليه ويقول وان كان يخالف في اشياء فان الناس
لم يزل يخالف بعضهم بعضا او كما قال وكان كثيرا يعرض عليه كلام اسحق
وغيره من الائمة ومآخذهم في اقوالهم فلا يوافقهم في قولهم ولا ينكر عليهم
اقوالهم ولا استدلالهم وان لم يكن هو موافقا على ذلك كله وقد استحسن
الامام احمد ما حكي عن حاتم الاصم انه قيل له انت رجل اعجمي لا تفصح وما ناظرك
احدا الا قطعته فباي شيء تغلب خصمك فقال بثلاث افرح اذا
اصاب خصمي واحزن اذا اخطا واحفظ لساني عنه ان اقول له ما يسوء
ه او معنى هذا فقال احمد ما اعقله من رجل فحينئذ رد المقالات الضعيفة
وتبيين الحق في خلافها بالادلة الشرعية ليس هو مما يكرهه العلما بل مما يحبونه
ويمدحون فاعله ويثنون عليه فلا يكون داخلا في باب الغيبة بالكلية فلو
فرض ان احدا يكره اظهار خطائه المخالف للحق فلا عبرة بكراهته لذلك فان
كراهة اظهار الحق اذا كان مخالفا لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة
بل الواجب على المسلم ان يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين به سواء كان في موافقته

او مخالفته وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وائمة المسلمين
وعامتهم وذلك هو الدين كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم واما المبين
لخطا من اخطا من العلما قبله اذا تادب في الخطاب واحسن الرد والجواب
فلا حرج عليه ولا لوم يتوجه عليه وان صدر منه من الاغترار بمقالته
فلا حرج عليه وقد كان بعض السلف اذا بلغه قول ينكره على قايله
يقول كذب فلان ومن هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم كذب ابو السنا
بل لما بلغه انه افتى ان المتوفى عنها زوجها اذا كانت حاملا لا تحل بوضع
الحمل حتى تاتي عليها اربعة اشهر وعشرا وقد بالغ الايمة الورعون في انكار
مقالات ضعيفة لبعض العلما وردها ابلغ الرد كما كان الامام احمد ينكر
على ابي ثور وغيره مقالات ضعيفة تفردوا بها ويبالغ في ردها عليهم هذا
كله حكم الظاهر واما في باطن الامر فان كان مقصوده في ذلك مجرد
تبيين الحق وان لا يغتر الناس بمقالات من اخطا في مقالاته فلا
ريب انه مثاب على قصده ودخل بفعله هذا بهذه النية في النصح لله ولرسوله
وايمة المسلمين وعامتهم وسواء كان الذي بين خطاه صغيرا او كبيرا
وله اسوة بمن رد من العلما مقالات ابن عباس التي شذ بها وانكرت
عليه من العلماء مثل المتعة والصرف والعمريتين وغير ذلك ومن رد على سعيد
ابن المسيب في اباحته المطلقة ثلاثا بمجرد العقد وغير ذلك مما يخالف السنة
الصريحة وعلى الحسن قوله في ترك الاحداد على المتوفى عنها وعلى عطا قوله
في اباحة اعارة الفروج وعلى طاوس قوله في مسايل متعددة شذ بها عن العلما
وعلى غير هولاء ممن اجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم ومحبتهم والثنا عليهم
ولم يعد احد منهم مخالفوه في هذه المسايل ونحوها طعنا في هولاء الايمة
ولا عيبا لهم وقد امتلات كتب ايمة المسلمين من السلف والخلف بتبيين
خطا هذه المقالات وما اشبهها مثل كتب الشافعي واسحق وابي عبيد
وابي ثور ومن بعدهم من ايمة الفقه والحديث وغيرهما ممن ادعوا هذه

المقالات وما كان بمثابتها شي كثير ولو ذكرنا ذلك بحروفه لطال الامر جدا
واما مراد الراد بذلك اظهار عيب من رد عليه وتنقصه وتبيين
جهله وقصوره في العلم ونحو ذلك كان محرما سواء كان رده لذلك في وجه
من رد عليه وفي غيبته وسواء كان في حياته او بعد مماته وهذا داخل فيما
ذمه الله تعالى في كتابه وتوعد عليه في الهمز واللمز ودخل ايضا في قول
النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يومن بقلبه لا توذوا
المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن
يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته وهذا كله في حق العلماء
المقتدا بهم في الدين واما اهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلما
وليس منهم فيجوز بيان جهلهم واظهار عيوبهم تحذيرا من الاقتداء بهم
وليس كلامنا الان في هذا القبيل والله اعلم

فصل

ومن عرف منه انه اراد برده على العلما
النصيحة لله ورسوله فانه يجب ان يعامل بالاكرام والاحترام
والتعظيم كسائر ائمة المسلمين الذين سبق ذكرهم وامثالهم ومن
اتبعهم باحسان ومن عرف انه اراد برده عليهم التنقص والذم واظهار
العيب فانه يستحق ان يقابل بالعقوبة ليرتدع هو ونظراؤه عن هذه
الرذائل المحرمة ويعرف هذا القصد وهذا القصد تارة باقرار الراد
واعترافه وتارة بقراين تحيط بفعله وقوله فمن عرف منه العلم والدين
وتوقير ائمة المسلمين واحترامهم ولم يذكر الرد وتبيين الخطا الا على الوجه
الذي غيره من ائمة العلماء اما في التصانيف وفي البحث وجب حمل كلامه
على الاول وانه انما قصد بذلك اظهار الدين والنصح لله ورسوله والمومنين
ومن حمل كلامه والحالة على ما ذكر فهو ممن يظن بالبري ظن السو وذلك
من الظن الذي حرمه الله ورسوله فقد جمع هذا الظان بين اكتساب الخطية
وهو داخل في قوله تعالى ومن يكسب خطية او اثما الاية فان الظن السو

السوء ممن لا يظهر منه امارات السوء مما حرمه الله ورسوله فقد جمع هذا
الظان بين اكتساب الخطيئة من الاثم ورمي البريء بها ويقوى دخوله
في هذا الوعيد اذا ظهرت منه اعني هذا الظان امارات السوء مثل كثرة البغي
والعدوان وقلة الورع واطلاق اللسان وكثرة الغيبة والبهتان والحسد
للناس على ما اتاهم الله من فضله والامتنان وشدة الحرص على المزاحمة على
الرياسات قبل الاوان ومن عرف منه هذه الصفات التي لا يرضى بها
اهل العلم والايمان فانه انما يحمل تعرضه للعلما ورده عليهم على الوجه الثاني
فيستحق حينئذ مقابلته بالهوان ومن لم تظهر منه امارات بالكلية
تدل على شيء فانه يجب ان يحمل كلامه على احسن محملاته ولا يجوز حمله على
اسواها حالا وقد قال عمر رضي الله عنه لا تظن بكلمة خرجت
من اخيك المسلم سوءا وانت تجد لها في الخير محملا

فصل ومن هذا الباب ان يقال للرجل في وجهه
ما يكرهه فان كان هذا على وجه النصح فهو حسن وقد قال بعض السلف
لبعض اخوانه لا تنصحني حتى تقول في وجهي ما اكره فاذا اخبر الرجل اخاه
بعيبه ليجتنبه كان ذلك حسنا ويحق لمن اخبر بعيب من عيوبه ان يعتذر
منها ان كان له منها عذر وان كان ذلك على وجه التوبيخ بالذنب فهو قبيح
مذموم وقيل لبعض السلف اتحب ان يخبرك احد بعيوبك فقال ان كان
يريد ان يوبخني فلا فالتوبيخ والتعيير بالذنب مذموم وقد نهى النبي
صلى الله عليه وسلم ان يثرب الامة الزانية مع امره بجلدها فتجلد حدا
ولا تعير بالذنب يقرن به الاعلان وكان يقال عن امر ولا توبخ به
وفي الترمذي وغيره مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله
وحمل ذلك على الذنب الذي تاب منه صاحبه قال الفضيل المومن
يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير فهذا الذي ذكره الفضيل من علامات
النصح والتعيير هو ان النصح يقترن به الستر والتعيير يقترن به الاعلان

وكان

وكان يقال من امر اخاه على رؤس الملا فقد عيره او هذا المعنى وكان
السلف يكرهون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على هذا الوجه
الوجه ويحبون ان يكون سرا فيما بين الامر والمامور فان هذا من علا
علامات النصح فان الناصح ليس له غرض في اشاعة العيوب عيوب
من ينصح له وانما غرضه ازالة المفسدة التي وقع فيها واما الاشاعة
واظهار العيوب فهو مما حرمه الله ورسوله قال تعالى ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الايتين والاحاديث في فضل
الستر كثيرة جدا وقال بعض العلماء لمن يامر بالمعروف اجتهد
ان تستر العصاة فان ظهور عوراتهم وهن في الاسلام واحق شيء
بالستر العورة فلهذا كان اشاعة الفاحشة مقترنة بالتعيير وهما
من خصال الفجار ولان الفاجر لا غرض له فهو يعيد ذكره ويبديه
ومقصوده تنقص اخيه المومن في اظهار في زوال المفاسد ولا في اجتناب ب
ب المومن للمعايب والنقايص انما غرضه في مجرد اشاعة العيب في اخيه
المومن وهتك عرضه فهو يعيد ذلك ويبديه ومقصوده تنقص اخيه
المومن في اظهار عيوبه ومساويه للناس ليدخل عليه بذلك الضرر
في الدنيا واما الناصح فغرضه بذكر الصحابة فقال محمد رسول الله
ط الذين وصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وقال لقد جاءكم رسول
من انفسكم الاية ووصف بذلك اصحابه فقال محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم ووصف المومنين بالتواصي بالرحمة والتواصي
با   واما الحامل للفاجر على اشاعة السوء والهتك فهو القسوة و
والغلظة ومحبته ايذاء اخيه المومن وادخال الضرر عليه وهذه صفة الشيطان
الذي يزين لبني ادم الكفر والفسوق والعصيان ليصيروا بذلك من اهل
النيران كما قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال بعد
ان قص علينا قصته مع نبي الله ادم عليه السلام ومكره به حتى توصل

ازالة عيب اخيه المومن وباجتنابه
له وبذكره صح

الى اخراجه من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوا تهما فشتان بين
من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة ولا تلتبس احداهما
بالاخرى الا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة

فصل وعقوبة من اشاع السوء على اخيه المومن
وتتبع عيوبه وكشف عورته ان يتبع الله عورته ويفضحه ولو في
جوف بيته كما روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وقد
اخرجه الامام احمد وابو داود والترمذي من وجوه متعددة
واخرج الترمذي من حديث واثلة بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك وقال حسن غريب
وخرج ايضا من حديث معاذ مرفوعا من عير اخاه بذنب لم يمت
حتى يعمله واسناده منقطع وقال الحسن كان يقال من عير اخاه بذنب
تاب منه لم يمت حتى يبتليه الله به وروي من حديث ابن مسعود
باسناد فيه ضعف البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا عير رجلا برضاع
كلبة لرضعها وقد روي هذا المعنى عن جماعة من السلف ولما ركب ابن
سيرين الدين وحبس قال اني لاعرف الذنب الذي اصابني هذا عيرت
رجلا منذ اربعين سنة فقلت له يا مفلس

فصل ومن اظهر التعيير واظهار السوء
واشاعته في قالب النصح وزعم انه انما يحمله على ذلك العيوب اما
عاما واما خاصا وكان في الباطن انما غرضه التعيير والاذى فهو من
اخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع فان الله تعالى ذم من
اظهر فعلا او قولا حسنا واراد به التوصل الى غرض فاسد يقصده في
الباطن وعد ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك فيها
المنافقين وفضحهم باوصافهم الخبيثة والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
وكفرا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل

الايات

الايات وقال تعالى ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا الاية وهذه الاية نزلت في اليهود سالهم النبي صلى الله عليه وسلم
عن شيء فكتموه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم
عنه واستحمدوا بذلك عليه وفرحوا بما اوتوا من كتمانه وما سالهم عنه كذلك
قال ابن عباس رضي الله عنهما وحديثه بذلك مخرج في الصحيحين عن ابي
سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه
الاية فهذه الخصال خصال اليهود والمنافقين وهو ان يظهر الانسان
في الظاهر قولا وفعلا وهو في الصورة التي اظهره عليها حسن
ومقصوده بذلك التوصل الى غرض فاسد فيحمد على ما اظهره من ذلك الحسن
ويتوصل هو به الى غرضه الفاسد الذي هو ابطنه ويفرح بحمده على ذلك الذي
اظهر حسن وهو في الباطن سيء وعلى توصله في الباطن الى غرضه السيء
فتتم له الفائدة وتنفذ له الحيلة بهذه الخداع ومن كانت هذه صفته فهو
داخل في هذه الاية ولا بد فهو متوعد بالعذاب الاليم ومثال ذلك
ان يريد الانسان ذم رجل وتنقصه واظهار عيبه لينفر الناس عنه اما محبة
لاذائه لعداوته او مخافته من مزاحمته على مال او رياسة او غير ذلك من الاسباب
المذمومة فلا يتوصل بذلك الا باظهار الطعن فيه بسبب
ديني مثل ان يكون قد رد قولا ضعيفا من اقوال عالم مشهور فيشيع
بين من يعظم ذلك العالم ان فلانا يبغض هذا العالم ويذمه ويطعن عليه
فيغر بذلك كل من يعظمه ويوهمهم ان بغض هذا الراد واذاه من اعمال
القرب لانه ذب عن ذلك العالم ودفع الاذى عنه وذلك قربة الى الله عز وجل
وطاعة فيجمع هذا المظهر للنصح بين امرين قبيحين محرمين احدهما
ان يحمل رد هذا العالم القول الاخر على البغض والطعن والهوى وقد
يكون انما اراد به النصح للمومنين واظهار ما لا يحل له كتمانه من العلم

والثاني ان يظهر الطعن عليه ليتوصل بذلك الى هواه وغرضه الفاسد
في قالب النصح والذب عن علماء الشرع بمثل هذه المكيدة كان ظلم بني
مروان واتباعهم يستميلون الناس اليهم وينفرون قلوبهم عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه والحسن والحسين وذريتهم رضي الله عنهم اجمعين فانه
لما قتل عثمان رضي الله عنه لم تر الامة احق من علي رضي الله عنه بالامر فبايعوه
فتوصل من توصل الى التنفير عنه بان اظهر تعظيم قتل عثمان وقبحه وهو
في نفس الامر كذلك لكن ضم اليه الى ذلك ان المؤلف على قتله والساعي فيه هو
علي رضي الله عنه فهذا كان كذب وبهت وكان علي يحلف ويغلظ الحلف على
نفي ذلك وهو الصادق البار في يمينه رضي الله عنه فلما اظهروا ذلك
نفرت قلوب كثيرة ممن انخرق له بحقايق الامور عن علي رضي الله عنه وبا
دروا الى قتاله ديانة وتقربا ثم الى قتال اولاده واجتهدوا ولكن في اظهار ذلك
واشاعته على المنابر في ايام الجمع وغيرها من المجامع العظيمة حتى استقر في قلوب
اتباعهم ان الامر على ما قالوه وان بني مروان احق بالامر من علي وولده
لقربهم من عثمان واخذهم بثاره فتوصلوا بذلك الى تاليف قلوب الناس عليهم
وقتالهم لعلي وولده من بعده ويثبت بذلك لهم الملك واستوسق لهم الامر
وكان بعضهم يقول في الخلوة لمن يثق اليه كلاما معناه لم يكن احد من
الصحابة اكف عن عثمان من علي فيقال له لم تسبونه اذا فيقول ان الملك لا
يقوم الا بذلك ومراده انه لولا تنفير قلوب الناس عن علي وولده ونسبتهم
الى ظلم عثمان لما مالت قلوب الناس اليهم لما علموه من صفاتهم الجميلة وخصا
يصهم الجليلة فكانوا يسرعون الى متابعتهم ومبايعتهم فيزول بذلك ملك بني
امية وينصرف الناس عن طاعتهم

فصل ومن بلي بشيء من هذا المكر فليتق الله
وليستعن به ويصبر فان العاقبة للتقوى كما قال تعالى لقد كان في قصة
يوسف ما حصل من انواع الاذى بالمكر والمخادعة وكذلك مكنا ليوسف في

الارض

الارض وقال تعالى حكاية عنه انه قال لاخوته انا يوسف وهذا اخي قد
من الله علينا الاية وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام وما حصل له
ولقومه من اذى فرعون وكيده قال لقومه استعينوا بالله واصبروا الاية
وقد اخبر الله تعالى ان المكر يعود وباله على صاحبه وقال تعالى ولا يحيق المكر
السيء الا باهله وقال تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الاية
والواقع يشهد بذلك فان من سبر اخبار الناس وتواريخ العالم وقف
على اخبار من مكر باخيه فعاد مكره عليه وكان ذلك سببا لنجاته توسلا منه
على العجب العجاب ولو ذكرنا بعض ما وقع من ذلك لطال الكتاب واتسع
الخطاب والله الموفق للصواب وعليه قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل

قال الشيخ الاجل عبد الرحمن ابن رجب رحمه الله تعالى وعفى عنه بمنه وكرمه امين

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام على سورة النصر

جاء في حديث انها تعدل ربع القران وهي مدنية بالاتفاق بمعنى انها نزلت
بعد الهجرة الى المدينة وهي من اخر ما نزل وفي صحيح مسلم عن جابر قال اخر سورة
نزلت من القران جميعا اذا جاء نصر الله واختلف في وقت نزولها فقيل
نزلت في السنة التي توفي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسند الامام احمد
عن محمد ابن فضيل عن عطا عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت

اذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت الى
نفسي مقبوض في تلك السنة عطا هو ابن السايب اختلط باخره و
وليشهد له ما اخرجه البزار في مسنده والبيهقي من حديث موسى ابن
عبيدة عن عبد الله ابن دينار وصدقة ابن لبشار والمعه عن ابن عمر
قال نزلت هذه السورة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى وهو في اوسط
ايام التشريق في حجة الوداع اذا جاء نصر الله والفتح فعرف انه الوداع
فامر براحلته القصوى فرحلت له ثم ركب فوقف للناس بالعقبة فحمد
فحمد الله واثنى عليه وذكر خطبة طويلة هذا اسناد ضعيف جدا وموسى
ابن عبيدة قال احمد لا تحل عندي الرواية عنه وعن قتادة قال عاش
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها سنتين وهذا يقتضي انها نزلت
قبل الفتح وهذا هو الظاهر لان قوله اذا جاء نصر الله والفتح يدل دلا
دلالة ظاهرة على ان الفتح لم يكن قد جاء لان اذا ظرف لما يستقبل من
من الزمان هذا هو المعروف في استعمالها وان كان قد قيل انها تجي
للماضي كقوله اذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وقوله
ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم
تفيض من الدمع حزنا وقد اجيب عن ذلك بانه اريد ان هذا شانهم
ودابهم لم يرد به الماضي بخصوصه وسنذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعد نزول هذه الاية جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن
ومجي اهل اليمن كان قبل حجة الوداع قوله تعالى اذا جاء
نصر الله والفتح اما نصر الله فهو معونته على الاعدا حتى غلب النبي
صلى الله عليه وسلم العرب كلهم واستولى عليهم من قريش وهوازن وغيرهم
وذكر النقاش عن ابن عباس ان النصر هو صلح الحديبية واما الفتح
فقيل هو فتح مكة بخصوصها قاله ابن عباس وغيره لان العرب كانت
تنتظر باسلامها ظهور النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وفي صحيح البخاري

عن عمرو ابن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكانت الاحيا تتلوم باسلامها فتح مكة فيقولون دعوه
وقومه فان ظهر عليهم فهو نبي وعن الحسن قال لما فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم مكة قالت الاعراب اما اذ ظفر باهل مكة وقد اجارهم
الله من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فدخلوا في دين الله افواجا
قيل ان الفتح يعم مكة وغيرها من الحصون والمداين كالطايف وغيرها
من مدن الحجاز واليمن وغير ذلك وهو الذي ذكره ابن عطية وقوله
تعالى ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا المراد بالناس
العموم على قول الجمهور وعن مقاتل انهم اهل اليمن وفي مسند الامام
احمد من طريق شعبة عن عمرو ابن مرة عن ابي البختري عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه السورة
اذا جاء نصر الله والفتح قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها
فقال الناس حيز وانا واصحابي حيز وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية وان مروان كذبه فصدق رافع ابن خديج وزيد ابن
ثابت ابا سعيد على ما قال وهذا يستدل به على ان المراد بالفتح فتح
مكة فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال يوم الفتح لا هجرة ولكن جهاد ونية وايضا فالفتح المطلق
هو فتح مكة كما في قوله لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ولهذا
قال الناس حيز وانا واصحابي حيز وروى النسائي من طريق هلال
ابن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت هذه السورة اذا
جاء نصر الله والفتح الى اخر السورة قال نعيت لرسول الله نفسه حين
نزلت فاخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ذلك جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء اهل اليمن
فقال رجل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم

الايمان يمان وجل الحكمة يمانية والفقه يمان وروى ابن جرير من طريق الحسين
ابن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن ابي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المدينة اذ قال الله اكبر جاء نصر الله والفتح جاء اهل اليمن
قيل يا رسول الله وما اهل اليمن قال قوم رقيقة قلوبهم لينة طاعتهم الايمان
يمان والفقه يمان والحكمة يمانية ورواه ايضا من طريق عبد الاعلى عن
معمر عن عكرمة مرسلا وكذا هو في تفسير عبد الرزاق عن معمر اخبرني من سمع
عكرمة فارسله وهذا لا يدل على اختصاص اهل اليمن بالناس المذكورين في الآية
وانما يدل على انهم داخلون في ذلك الناس اعم من اهل اليمن قال ابن عبد البر مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الاسلام بعد
حنين والطائف منهم من قدم ومنهم من لم يقدم واقدم ثم كان بعد من الردة
ما كان ورجعوا كلهم الى الدين قال ابن عطية المراد والله اعلم العرب عبدة الاوثان
واما نصارى بني تغلب فما اراهم اسلموا قط في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن اعطوا الجزية والافواج الجماعة اثر الجماعة كما قال كلما القي فيها فوج
وفي المسند من طريق الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني جار لجابر ابن عبد الله قال
قدمت من سفر فجاءني جابر ابن عبد الله يسلم علي فجعلت احدثه عن افتراق
الناس وما احدثوا فجعل جابر يبكي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقوله
تعالى فسبح بحمد ربك فيه قولان حكاهما ابن الجوزي احدهما ان المراد الصلاة
نقله عن ابن عباس والثاني التسبيح المعروف وفي الباء في بحمد قولان
احدهما انها للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول اي فسبحه حامدا له والمعنى
اجمع بين تسبيحه وهو تنزيهه عما لا يليق به من النقائص وبين تحميده وهو
اثبات ما يليق به من المحامد والثاني انها للاستعانة والحمد مضاف الى الفاعل
اي سبحه بما حمد به نفسه اذ ليس كل تسبيح بمحمود كما ان تسبيح المعتزلة يقتضي
تعطيل كثير من الصفات كما كان بشر المريسي يقول سبحان ربي الاسفل

وقوله

قوله تعالى واستغفره اي اطلب مغفرته والمغفرة هي وقاية
شر الذنب لا مجرد ستره والفرق بين العفو والمغفرة ان العفو محو اثر
الذنب وقد يكون بعد عقوبة عليه بخلاف المغفرة فانها لا تكون مع
العقوبة وقوله تعالى انه كان توابا اشارة الى انه سبحانه يقبل
توبة المستغفرين المنيبين اليه فهو ترغيب في الاستغفار وحث على
التوبة وقد فهم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بالتسبيح والتحميد والاستغفار عند مجيء نصر الله والفتح شكرا لله على
هذه النعمة كما صلى صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وكذلك صلى
سعد يوم فتح المدائن وكانت تلك تسمى صلاة الفتح واما عمر وابن عباس
فقالا بل كان مجيء النصر والفتح علامة على اقتراب اجله وانقضاء عمره فامر
ان يختم عمله بذلك وتهيأ للقاء الله والقدوم عليه على اكمل احواله واعلاها
فانه لما جاء نصر الله والفتح بحيث صارت مكة دار اسلام وكذلك جزيرة
العرب كلها ولم يبق بها كافر ودخل الناس في دين الله افواجا وبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم رسالات ربه وعلم الامة مناسكهم وعباداتهم وتركهم
على البيضاء ليلها كنهارها لم يبق له في الدنيا حاجة فحينئذ تهيأ للنقلة
الى الآخرة فانها خير له من الدنيا ولهذا نزلت اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا بعرفة وعلم الامة
مناسكهم وقال لهم لعلي لا اراكم بعد عامي هذا وقال لهم هل بلغت قالوا
نعم واشهد الله عليهم بذلك وودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع وقد
خير النبي صلى الله عليه وسلم بين الدنيا وبين لقاء ربه فكان آخر ما سمع منه
اللهم الرفيق الاعلى ونظير هذا الفهم الذي فهمه عمر من السورة ما فهمه ابو
بكر من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان عبدا خير بين لقاء ربه وبين الدنيا
فاختار لقاء ربه وقد سبق من حديث ابن عباس ما يدل على ذلك وفي
صحيح البخاري عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني

مع اشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا
ولنا ابناء مثله فقال عمر انه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم
فما رايت انه دعاني فيهم يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله
عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم امرنا ان نحمد الله ونستغفره
اذا جاء نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي اكذاك
تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما تقول قلت هو اجل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعلمه له قال اذا جاء نصر الله والفتح فذاك علامة اجلك فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ابن الخطاب ما نعلم منها الا ما تقول
وقد رويت هذه القصة عن ابن عباس من غير وجه وفي المسند عن ابي
رزين عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح علم النبي صلى الله عليه
وسلم انه قد نعيت اليه نفسه وقد سبق حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت هذه السورة اخذ في اشد ما كان اجتهادا في امر الاخرة وروى
الخرائطي في كتاب الشكر من طريق دابي فياض عن الحارث ابن شبل
عن ام النعمان الكندية عن عائشة قالت لما نزلت هذه الاية انا فتحنا لك
فتحا مبينا اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة فقيل يا رسول الله ما هذا
الاجتهاد اليس قد غفر لك من ذنبك وما تقدم وما تاخر قال افلا اكون
عبدا شكورا اسناده ضعيف وروى البيهقي من طريق سعيد ابن
سليمان حدثنا عباد ابن العوام عن هلال ابن خباب عن عكرمة
عن ابن عباس قال لما نزلت اذا جاء نصر الله والفتح دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاطمة وقال انه قد نعيت الي نفسي فبكت ثم ضحكت وقالت اخبرني انه
قد نعيت الي نفسي فبكيت ثم اخبرني انك اول اهلي لحاقا بي فضحكت وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول
هذه السورة ففي الصحيحين عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي

واتى اللهم

من لم يعتقد ذلك يكون مكذبا للرسول متبعا غير سبيل المؤمنين بل يكون في الحقيقة
معطلا لربه نافيا له فلا يكون له في الحقيقة رب يعبده ولا رب يساله ويقصده و
هذا قول الجهمية ونحوهم من اتباع فرعون المعطل والله قد فطر العباد عربهم وعجمهم على انهم
اذا دعوا الله توجهت قلوبهم الى العلو فلا يقصدونه تحت ارجلهم ولهذا قال بعض العا
رفين ما قال عارف قط يا الله الا وجد في قلبه قبل ان يتحرك لسانه معنى يطلب العلو و
لا يلتفت يمنة ولا يسرة والقائل الذي يقول ان الله لا ينحصر في مكان ان اراد
ان الله لا ينحصر في جوف المخلوقات او انه لا يحتاج الى شيء منها فقد اصاب وان اراد
ان الله ليس فوق السموات ولا هو على العرش وليس هناك الرب يعبد ولا محمد عرج
به الى الله فهذا جهمي فرعوني معطل ومنشأ الضلال ان يظن الظان ان
صفات الرب كصفات خلقه فيظن ان الله سبحانه على عرشه كالملك المخلوق
على سريره وهذا تمثيل وضلال وذلك ان الملك مفتقر الى سريره ولو زال سريره
لسقط والله غني عن العرش وعن كل شيء وكل ما سواه فقير اليه وهو حامل
العرش وحملة العرش وعلوه عليه لا يوجب افتقاره اليه فان الله قد جعل المخلوقات عاليا
وسافلا وجعل العالي غنيا عن السافل كما جعل الهوى فوق الارض وليس هو مفتقرا اليها
وقد جعل السماء فوق الهوى وليست محتاجة اليه فالعلي الاعلى رب السموات والا
رض وما بينهما اولى ان يكون غنيا عن العرش وسائر المخلوقات وان كان عاليا
عليها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والاصل في هذا الباب ان كل
ما ثبت في كتاب الله وسنة رسوله وجب التصديق به مثل علو الرب واستوائه
على عرشه ونحو ذلك واما الالفاظ المبتدعة في النفي والاثبات مثل قول القائل هو في
جهة او ليس في جهة ولا قال هو متحيز ولا قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم [illegible]
فان هؤلاء لم يقل احد منهم ان الله في جهة ولا قال ليس هو في جهة ولا قال هو متحيز ولا
قال ليس بمتحيز بل ولا قال هو جسم او جوهر ولا قال ليس بجسم ولا جوهر فهذه الالفاظ
ليست منصوصة في الكتاب ولا السنة ولا الاجماع والناطقون بها قد يريدون معنى
صحيحا وقد يريدون معنى فاسدا فمن اراد معنى صحيحا فوافق الكتاب والسنة كان

ملاحظة

يوجد هنا سقط، حيث ان الرسالة السابقة لابن رجب على سورة الاخلاص

والصفحة التي تلي هي في الاسماء والصفات

والظن الغالب انها لابن تيمية

ذلك مقبولا منه وان اراد معنى فاسدا يخالف الكتاب والسنة كان ذلك المعنى مردو
دا عليه فاذا قال القايل ان الله في جهة قيل ما تريد بذلك اتريد بذلك انه سبحانه في جهة
موجودة تحصره وتحيط به مثل ان يكون في جوف السموات ام تريد بالجهة امرا عدميا
وهو ما فوق العالم فانه ليس في فوق العالم شيئا من المخلوقات فان اردت الجهة
الوجودية وجعلت الله محصورا في المخلوقات فهذا باطل وان اردت الجهة العدمية
وان اردت ان الله وحده فوق المخلوقات باين عنها فهذا حق وليس في ذلك
ان شيئا من المخلوقات حصره ولا احاط به ولا علا عليه بل هو العالي عليها المحيط
بها وقد قال تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويات بيمينه الاية وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبض الارض
يوم القيمة ويطوي السموات بيمينه ثم يهزهن فيقول انا الملك اين ملوك الارض
وقد قال ابن عباس ما السموات السبع والارضون السبع وما فيهن وما بينهن في
يد الرحمن الا كخردلة في يد احدكم وفي حديث اخر انه يرميها كما يرمي الصبيان الكرة فمن
يكون جميع المخلوقات بالنسبة الى قبضته تعالى هذا الصغر والحقارة كيف تحيط به
وتحصره ومن قال ان الله ليس في جهة قيل له ما تريد بذلك فان اراد بذلك انه ليس فو
ق السموات رب يعبد ولا على العرش اله ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يعرج به الى الله ولا
يدي لا ترفع الى الله في الدعاء ولا تتوجه القلوب اليه فهذا فرعوني معطل جاحد
لرب العالمين وان كان يعتقد انه مقر به فهو جاهل متناقض في كلامه ومن هنا
دخل اهل الحلول والاتحاد كابن عربي قالوا ان الله بذاته في كل مكان وان وجود المخلوقا
ت هو وجود الخالق وان قال مراده بقوله ليس في جهة انه لا تحيط به المخلوقات
بل هو فوق الخلائق فقد اصاب في هذا المعنى وكذلك من قال ان الله متحيز او قال ليس
بمتحيز ان اراد بقوله متحيزا ان المخلوقات لا تحوزه فقد اصاب وان اراد به انه من
حاز عن المخلوقات باين عنها عال عليها فقد اصاب ومن قال ليس بمتحيز ان اراد ان المخلوقات
لا تحوزه فقد اصاب وان اراد انه ليس بمباين عنها بل هو لا داخل فيها ولا خارج عنها فقد
اخطا والناس في هذا الباب ثلاثة اصناف اهل الحلول والاتحاد واهل النفي و

والجحود

والجحود واهل الايمان والتوحيد والسنة فاهل الحلول يقولون انه بذاته في كل مكا
ن وقد يقولون بالاتحاد والوحدة فيقولون وجود المخلوقات وجود الخالق كما هو مذ
هب ابن عربي صاحب الفصوص وابن سبعين ونحوهما واما اهل النفي والجحود فيقولو
ن لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا داخل فيه ولا فوق العالم ولا
فيه ولا ينزل منه شيء ولا يصعد اليه شيء ولا يتقرب اليه شيء ولا يدنو اليه شيء ولا
يتجلى لشيء ولا يراه احد ونحو ذلك وهذا قول متكلمة الجهمية المعطلة كما ان الاول
قول عباد الجهمية فمتكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء و
كلامهم يرجع الى التعطيل والجحود الذي هو قول فرعون وقد علم ان الله كان قبل ان يخلق
السموات والارض ثم خلقهما فاما ان يكون دخل فيهما وهذا حلول باطل واما ان يكون
دخلا فيه وهو ابطل واباطل واما ان يكون الله باين عنهما لم يدخل فيهما ولم يدخلا فيه و
هذا قول اهل الحق والتوحيد والسنة ولاهل الجحود والتعطيل في هذا الباب شبهات
يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله وما اجمع عليه سلف الامة وائمتها وما فطر الله
عليه عباده وما دلت عليه الدلايل العقلية الصحيحة فان هذه الادلة كلها متفقة على ان الله
فوق خلقه عال عليها قد فطر الله على ذلك العجايز والاعراب والصبيان في الكتاب كما فطر
هم على الاقرار بالخالق تعالى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كل مولود يولد على
الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء
ثم يقول ابو هريرة اقرءوا ان شئتم فطرة الله عليه فان الله فطر عباده على الحق والرسل بعثوا
بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها واما اعداء الرسل كالجهمية الفرعو
نية ونحوهم فيريدون ان يغيروا فطرة الله ودين الله ويوردون على الناس شبهات بكلما
ت مشتبهات لا يفهم كثير من الناس مقصودهم بها ولا يحسن ان يجيبهم وقد بسط الكلا
م عليهم في غير هذا الموضع واصل ضلالهم تكلمهم بكلمات مجملة لا اصل لها في كتاب الله ولا
سنة رسوله ولا قالها احد من ائمة المسلمين كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك فمن
كان عارفا بحل مشبهاتهم ومن لم يكن عارفا بذلك فليعرض عن كلامهم ولا يقبل الا ما
جاء به الكتاب والسنة كما قال تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى

يخوضوا في حديث غيره ومن تكلم في الله واسمائه وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة
فهو من الخائضين في آيات الله بالباطل وكثير من هؤلاء ينسب الى ائمة المسلمين ما لم
يقولوه فينسبون الى الشافعي واحمد بن حنبل ومالك وابي حنيفة وغيرهم من الا
عتقادات الباطلة ما لم يقولوه ويقولون لمن اتبعهم هذا الذي نقوله اعتقاد
الامام الفلاني فاذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الائمة تبين كذبهم في ذلك كما تبين كذبهم
فيما ينقلونه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتصنيفهم الى سنته من البدع والاقوال الباط
لة ومنهم من اذا طولب بتحقيق نقله يقول هذا القول قاله العقلاء والامام الفلا
ني لا يخالف العقلاء ويكون العقلاء طائفة من اهل الكلام الذين ذمهم الائمة فقال
طائفة الشا فقد قال الشافعي رضي الله عنه حكمي في اهل الكلام ان يضربوا بالجريد والنعال
ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واقبل على
الكلام فاذا كان هذا حكمه فيمن اعرض عنهما فكيف حكمه فيمن عارضهما بغيرهما وكذلك قال ابو
يوسف القاضي من طلب الدين بالكلام تزندق وكذلك قال احمد بن حنبل ما ارتدى احد
بالكلام فافلح وقال علماء الكلام زنادقة وكثير من هؤلاء قرؤوا كتبا من كتب الكلام
فيها شبهات اضلتهم ولم يهتدوا لجوابها فانهم يجدون في تلك الكتب انه لو كان الله فوق
خلقه للزم التجسيم والتحيز والجهة وهم لا يعرفون حقائق هذه الالفاظ ولا ما اراد بها
اصحابها فان ذكر لفظ الجسم في اسماء الله وصفاته بدعة لم ينطق بها الكتاب والسنة ولا
قالها احد من سلف الامة وائمتها ولم يقل احد منهم ان الله جسم ولا انه ليس بجسم ولا انه جو
هر ولا انه ليس بجوهر ولفظ الجسم لفظ مجمل فمعناه في اللغة هو البدن ومن قال ان الله
مثل بدن الانسان فهو مفتر على الله بل من قال ان الله يماثل شيئا من المخلوقات فهو مفتر
على الله ومن قال ان الله ليس بجسم واراد بذلك انه لا يماثل شيئا من المخلوقات فالمعنى صحيح وان
كان اللفظ بدعة واما من قال ان الله ليس بجسم واراد بذلك انه لا يرى في الآخرة وانه
لم يتكلم بالقرآن العربي بل القرآن العربي مخلوق او هو تصنيف جبرائيل ونحو ذلك فهذا مفتر
على الله فيما نفاه عنه وهذا اصل ضلال الجهمية من المعتزلة ومن وافقهم على مذهبهم فانهم يظهرو
ن للناس التنزيه وحقيقة كلامهم التعطيل فانهم يقولون نحن لا نجسم بل نقول ان الله ليس

بجسم

بجسم ومرادهم بذلك نفي حقيقة اسمائه وصفاته فيقولون ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام
ولا سمع ولا بصر ولا يرى في الآخرة ولا عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم اليه ولا ينزل منه شيء ولا يصعد
اليه شيء ولا يعلو على شيء ولا يقرب الى شيء ولا يقرب منه شيء ويقولون لا يرى في الآخرة وانه لم يتكلم
بالقرآن بل القرآن مخلوق او هو كلام جبرائيل واشباه ذلك من مقالات المعطلة الفرعونية الجهمية
والله تعالى يقول في كتابه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار اي لا تحيط به فكما انه يعلم ولا يحاط به
علما فكذلك هو سبحانه يرى ولا يحاط به رؤية فهو سبحانه نفى الادراك ولم ينف الرؤية ونفي الادراك يدل
على عظمته وانه من عظمته لا يحاط به واما نفي الرؤية فلا مدح فيه فان المعدومات لا ترى ولا
مدح لشيء من المعدومات بل المدح انما يكون بالامور الثبوتية لا بالامور العدمية وانما يحصل المدح
بالعدم اذا تضمن ثبوتا كقوله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فنزه نفسه عن
السنة والنوم لان ذلك يتضمن كمال حياته وقيوميته كما قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فهو سبحانه
حي لا يموت قيوم لا ينام وكذلك قوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب فنزه نفسه المقدسة عن اللغوب وهو الاعياء والتعب لتبيين كمال قدرته فهو سبحانه
موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب موصوف بالعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر
والكلام منزه عن الموت والجهل والعجز والصمم والبكم وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات الكما
ل فهو منزه عن كل نقص وعيب فانه قدوس سلام يمتنع عليه النقائص والعيوب بوجه من الوجوه
وهو سبحانه لا مثل له في شيء من صفات كماله بل هو الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
احد ولهذا كان مذهب سلف الامة وائمتها انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله
من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فيثبتون له ما اثبته لنفسه من الاسماء والصفات
وينزهونه كما نزه عنه نفسه عن مماثلة المخلوقات اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل قال تعالى ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير فقوله ليس كمثله شيء رد على الممثلة وقوله وهو السميع البصير رد على
المعطلة قال بعض العلماء المعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما المعطل اعمى والممثل اعشى ودين الله
بين الغالي فيه والجافي عنه وقد قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا والسنة في الاسلام كالاسلام في الملل واهل
السنة وسط في الصفات بين اهل التمثيل واهل التعطيل وهذا هو الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا نسأل الله العظيم ان يجعلنا منهم [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم ما تقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم اجمعين
في قوم يعظمون المشايخ الموتى بكون انهم يستغيثون بهم في الشدايد ويتضرعون اليهم ويزورون
قبورهم يقبلونها ويتبركون عليها ويوقدون عليها المصابيح طول الليل ويتخذون لها مواسم يقر
بون يقدمون عليها من البعد يسمونها ليلة المحيا فيجعلونها كالعيد عندها وينذرون لها ويصلون
عندها فهل يحل لهؤلاء القوم هذا الفعل ام يحرم ام يكره وهل يجوز للمشايخ تقرير
هم على ذلك ام يجب عليهم زجرهم عن ذلك وما يجب على المشايخ من تعليم المريدين وما يوصو
نهم به وهل يجوز تقريرهم على الحيات والنار وغير ذلك ام لا وما ذا يجب على ائمة مساجد يحضرو
ن سماعهم ويوافقونهم على هذه الاشيا وما يجب على ولي الامر في امرهم هذا افتونا ماجورين ان شاء الله تعالى

الجواب الحمد لله رب العالمين من استغاث بميت او غايب من البشر بحيث يدعوه
في الشدايد والكربات ويطلب منه قضاء الحاجات فيقول يا سيدي الشيخ فلان انا في حسبك
او جوارك او يقول عند هجوم العدو عليه يا سيدي فلان يستوحيه ويستغيث به او يقول نحو
ذلك عند مرضه وفقره ونحو ذلك من حاجاته فان هذا ضال ظالم جاهل مشرك عاص بالله باتفاق
المسلمين فانهم متفقون على ان الميت او الغايب لا يسال ولا يدعى ولا يطلب منه شي سوا
كان نبيا او شيخا او غير ذلك ولكن اذا كان حيا حاضرا وطلب منه ما يقدر عليه من الد
عا ونحو ذلك جاز له ذلك كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلبون منه في حياته و
كما يطلب منه الخلق يوم القيمة وهذا هو التوسل والاستغاثة به التي جاءت به الشريعة كما ثبت
في صحيح البخاري وغيره عن انس ان الناس لما اجدبوا استسقى عمر بالعباس وقال اللهم انا كنا نتوسل
اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون فكانوا توسلهم بالنبي صلى الله عليه
وسلم في حياته هو توسلهم بدعائه وشفاعته فلما مات توسلوا بدعاء عمه العباس وشفاعته لم يكونوا
يدعونه عنده فانه صلى الله عليه وسلم كان قد سد الذريعة في هذا الباب ولم يتوسلوا
حتى قال لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال اللهم لا تجعل قبري
وثنا يعبد وقال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا وقال
ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فاني انهاكم عن
ذلك ولهذا قال العلماء انه يحرم بناء المساجد على القبور فاذا كان اتخاذ قبور الا
نبيا

نبيا والصالحين مساجد والصلاة عندها منهي عنه قد نهى عنه صلى الله عليه وسلم لئلا يكون ذريعة الى الشرك فكيف
اذا جاز صاحب القبر يدعا ويسال ويقسم على الله به او يسجد لقبره ويتمسح به فان هذا الشرك صريح وقد قال تعالى قل
ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض الاية وقوله قل ادعوا الذين ز
عمتم من دونه الى قوله ايهم اقرب قال طايفة من السلف كان اقوام يدعون الملايكة والنبيين كالمسيح والعز
ير فبين الله تعالى ان هؤلاء عبادي كما انتم عبادي يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذا
بي ويتقربون الي كما تتقربون الي وقد قال تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الحكم والنبوة الى قوله ايامركم بالكفر بعد
اذ انتم مسلمون فبين سبحانه ان اتخاذ الملايكة والنبيين اربابا كفر وهذا انما كان بدعايهم من دون الله لا باعتقاد
هم انهم شاركوه في خلق السموات والارض فان هذا لم يقله احد ولهذا ذكر النصارى اتخذوا احبارهم ور
هبانهم اربابا الاية فبين ان النصارى مشركون حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم
ولم يقل احد من النصارى ان الاحبار والرهبان شاركت الله في خلق السموات فاذا كان الداعي المستغيث بمن مات
من الانبيا مشركا فكيف بمن دعا ميتا من غير الانبيا فاستغاث به ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين زي
ارة شرعية وزيارة بدعية فالزيارة الشرعية مقصودها الدعا للميت كما يصلى على جنازته فيقال فيها السلام عليكم
دار قوم مومنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منكم والمستاخرين نسال الله لنا ولكم العافية اللهم
لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم فهذا من جنس الصلاة على الميت واما الزيارة البدعية فهي
جنس الشرك من جنس دين النصارى مثل دعا الميت والاستغاثة به والاقسام على الله به وتقبيل قبره والتمسح
او السجود له او تعفير الخد عنده ونحو ذلك مما يتضمن طلب الحاجات منه او فليس شي من هذا من دين الا
سلام ولم يشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا من ذلك ولا فعله اصحابه ولا استحب ذلك احد من ائمة المسلمين
بل نهوا عنه حتى اتفق ائمة المسلمين على ان قبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يقبل ولا يتمسح به ولا يسجد عنه فاذا كان في قبره فكيف بقبر
غيره وهو افضل الخلق واكرمهم على الله واقربهم اليه وسيلة واعظمهم عنده جاها والحديث الذي يرويه بعض
الناس اذا سالتم ... ولا ذكر في شي من كتب المسلمين المذكورة وكذلك ايقاد المصابيح وتعليق الستور على
قبور الانبيا والصالحين من اهل البيت وغيرهم ليس شيا من ذلك مشروعا باتفاق سلف الامة وائمتها ولم يفعل ذلك
احد من السلف ولا استحبه احد من ائمة الدين بل في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله زوارات القبور
والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي حديث حسن ومن نذر للقبر زيتا او شمعا او قناديل او ستراً و
نحو ذلك لم يكن هذا نذر طاعة ولم يكن عليه ان يوفي به ولا اعلم في هذا نزاعا بين العلما ولكن هل عليه كفارة يمين

او لا شيء عليه فيه قولان لاهل العلم وكذلك الاجتماع عند قبر من القبور لقراءة ختمة او دعاء او ذكر او عمل سماع
او غير ذلك من هو البدع المنهي عنها فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا قبري عيدا رواه اهل السنن فاذا كان
قد نهى عن اتخاذ قبره اولى بالنهي عن ذلك والمكان الذي يتخذ عيدا هو الذي يعتاد الناس الاجتماع فيه
في وقت معين كما يعتادون الاجتماع بعرفة او مزدلفة ومنى وكذلك الزمان الذي يتخذ عيدا هو الزمان الذي
يعتادون الاجتماع والمشركون الذين كفرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاتلهم واستباح دماءهم واموالهم من
العرب لم يكونوا يقولون ان الهتهم شاركت الله في خلق العالم بل كانوا مقرين بان الله وحده خالق السموات
والارض كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال قل لمن الارض ومن فيها
الى قوله فانى تسحرون وقال وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون قال طائفة من السلف تسالهم من خلق
السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره وانما كانت عبادتهم اياهم انهم يدعونهم ويتخذونهم وسائط
ووسائل وشفعاء لهم ومن سلك هذا السبيل فهو مشرك بحسب ما فيه من هذا الشرك وهذا الشرك اذا قامت على الا
نسان الحجة فيه ولم ينته عنه وجب قتله كقتل امثاله من المشركين ولم يدفن في مقابر المسلمين ولم يصل عليه
واما اذا كان جاهلا لم يبلغه العلم ولم يعرف حقيقة الشرك الذي قاتل عليه النبي صلى الله عليه وسلم المشركين فانه لا يحكم
بكفره لا سيما وقد كثر مثل هذا الشرك في المنتسبين الى الاسلام ومن اعتقد مثل هذا قربة وطاعة فانه ضال باتفاق
المسلمين وهو بعد قيام الحجة عليه كافر والواجب على المسلمين عموما وعلى ولاة الامر خصوصا النهي عن هذه
الامور والزجر عنها بكل طريق وعقوبة من لم ينته عن ذلك العقوبة الشرعية **فصل** والواجب على المشا
يخ ان يامروا اتباعهم بطاعة الله ورسوله فيفعلوا ما امر الله ورسوله به ويتركوا ما نهى الله ورسوله عنه و
يتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ويكون المقصود بذلك دعوتهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وطاعة رسوله
والشيوخ يبلغون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما امر به امته من الدين الذي امر الله به ويتبعون خلفائه
الراشدين كما قال صلى الله عليه وسلم انه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
من بعدي عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة والوصية الجامعة هي وصية الله
وصى بها عباده حيث قال ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ولما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
معاذا الى اليمن وصاه بثلاث وصايا فقال اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
واما كتابة الاجازات فهي بمنزلة الشهادة للرجل بانه اهل للمشيخة وبمنزلة امر الناس بمتابعته وطاعته و[illegible]
حرام ان يفعل هذا الا ان يكون عالما بمن يصلح للتربية والاتباع ومن لا يصلح لذلك وان يكون عدلا فيما يقوله

ويامره به ممن كان جاهلا بطريق الله الذي بعث به رسوله او كان صاحب غرض يكتب الاجازة لمن يعلم
ما لا يجوز ... ان لم يكن مستحقا لذلك لم يكن لمثل هذا ان يكتب اجازة ولا حرمة لمن يكتب له مثل هذا
اجازة ولا سيما اذا كان مضمون الاجازة سؤال الناس ان يعطوه اموالهم فهذه اجازة للشحاذة والسؤال
وليس هذا من حكم اهل طريق الله ومن قبض اموال الناس على ان يعطيها المستحقين فلا بد ان يكون عالما بالمستحقين
عدلا يعطي المال لمستحقيه واما اذا اخذ اموال الناس ليطعمها من العادة على اغراضه ويامر بغير ما امر الله به وينهى عن
شرع الله ودينه فهذا من الاكلين اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وانما الشيوخ الذين يستحقون
ان يكونوا قدوة متبعين هم الذين يدعون الناس الى طريق الله وهو شرع الله ودينه الذي بعث الله به رسوله
كما دل على ذلك الكتاب والسنة ويصرفون الاموال في مصارفها الشرعية التي يحبها الله ورسوله فيكونون داعين
الى سبيل الله منفقين المال في سبيل الله وكل من اظهر هذه الاشارات البدعية شارات مثل اشارة الدم
واللاذن والسكر وماء الورد والحية والنار فهم اهل باطل وضلال وكذب محال يستحقون التعزير والنكال وهم اما
صاحب حال شيطاني واما صاحب حال بهتاني فهو لا لجمهورهم والاول لخواصهم وهو لا يجب عليهم ان يتو
بوا من هو لاء البدع والمنكرات ويلتزموا طريق الله الذي بعث به رسوله ليس لهم ان يكونوا قدوة للمسلمين
حتى ان يقتدى بهم ومن كثر جمعهم الباطل فحضر سماعاتهم التي يفعلونها في المساجد وغيرها وجلس مجالسهم
او قربهم مجالسهم من ائمة المساجد ونحوهم فانه يستحق التعزير البليغ الذي يستحقه امثاله واقل تعزيره ان
يعزل مثل هذا عن امامة المسلمين فان هذا معين لائمة الضلالة وهو منهم فلا يصلح ان يكون امام الائمة
الهدى والفلاح قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الاية وقال تعالى والعصر الى اخرها وقال تعالى ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير الاية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

نقل من سؤال قدم من بلاد كيلان في مسئلة القران الى دمشق في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة من جهة سلطان
تلك البلاد وعلى يد قاضيها الاجوبة لحق من الباطل عند ما كثر عندهم الاختلاف والاضطراب ورغب
كل من الفريقين في قبول كلام شيخ الاسلام احمد بن تيمية في هذا الباب فاملاه شيخ الاسلام في المجلس وكتبه
احمد بن محمد بن مري الشافعي بخط جيد قوي [illegible] ثم ان كاتب هذه الاوراق اطلع على هذه الفتوى يوم الاثنين ثا
لث ربيع الاخر سنة احدى وعشرين وثمانمائة فاخترت لنفسي منها مواضع نقلتها في هذه الاوراق وهي
الجواب جواب طويل جدا صورة السؤال ٣٣ ما يقول السادة العلماء ائمة الدين رضي الله عنهم في قوم يقولون
كلام الناس وغيرهم قديم سواء كان الكلام صدقا او كذبا فحشا او غير فحش نظما او نثرا ولا فرق بين كلام الله

عز وجل وكلامهم في القدم الا من جهة المتواتر وقال قوم منهم بل اكثرهم اصوات الحمير والكلاب كذلك وما تو
ذ عليهم نقل عن الامام احمد رد اعلى من لهم تاولوا ذلك القول وقالوا ان احمد انما قال ذلك خوفا من
الناس فهل هؤلاء مصيبون او مخطئون فاذا كانوا مخطئون فهل على ولي الامر دفعهم وردعهم وزجر
هم عن ذلك ام لا واذا وجب زجرهم فهل يكفرون اذا اصروا ام لا وهل الذي نقلوه عن الامام احمد حق
او كذب فمعون افتونا ماجورين **اجاب** شيخ الاسلام ابو العباس احمد ابن تيمية الحمد لله
بل هؤلاء مخطئون في ذلك مجرما فاحشا باجماع المسلمين قد قالوا منكرا من القول وزورا بل كفرا وضلالا
ويجب نهيهم عن هذا القول الشنيع الفاحش ويجب على ولاة الامور عقوبة من لم ينته عن ذلك جزاء بما كسب
نكالا من الله فان هذا القول مخالف للعقل والنقل والدين مناقض للكتاب والسنة واجماع المؤمنين
وهي بدعة شنيعة لم يقلها قط احد من علماء المسلمين لا من علماء السنة ولا من علماء البدعة ولا يقو
لها عاقل يفهم ما يقول ولا يحتاج في مثل هذا الكلام الذي فساده معلوم ببديهة العقل ان يحتج لم
ينقل عن اعلم من الائمة الا من جهة ان رده الكلام منقول عن الائمة وان قائله مخالف للائمة
ومبتدع في الدين ولتزول بذلك شبهة من يتوهم ان قولهم من لوازم قول احد من السلف ولبعض ائمتهم
مخالفون للائمة المقتدى بهم بل قولهم الا انه مناقض لقولهم فان الائمة كلهم نصوا على ان كلام الادمي
مخلوق بل نص الامام احمد ان افعال العباد مخلوقة عموما وعلى كلام الادمي خصوصا ثم تقدم عن هذا
الاطلاق لاجل الشبهة التي عرضت لمثل هؤلاء المبتدعة ثم ساق الشيخ كلاما طويلا الى ان قال ومن
المشهور في كتاب صريح السنة لمحمد بن جرير الطبري وهو متواتر عنه لما ذكر الكلام في ابواب السنة قال واما
القول في الفاظ العباد بالقرآن فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي مضى ولا عن تابعي قفا الا عمن في قوله
الشفاء والغناء وفي اتباعه الرشد والهدى ومن يقوم قوله مقام الائمة الاولى ابي عبد الله احمد بن محمد ابن حنبل
فان ابا اسمعيل الترمذي حدثني قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد ابن حنبل رضي الله عنه يقول اللفظية جهمية
قال ابن جرير سمعت جماعة من اصحابنا لا احفظ اسماءهم يحكون عنه انه كان يقول من قال لفظي با
لقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع قال ابن جرير ولا قول في ذلك عندنا يجوز ان
يقول احد غير قوله اذ لم يكن لنا امام نأتم به سواه وفيه كفاية لكل متبع وقناعة لكل مقنع وهو الامام
المتبع وقال صالح ابن الامام احمد بلغ ابي ان ابا طالب يحكي عن ابي انه قال لفظي بالقرآن غير مخلوق قال فا
بعث الى ابي طالب فوجهت اليه فجاء فقال له ابي انا قلت لك لفظي بالقرآن غير مخلوق وغضب

وجل

وجعل يرتعد فقال له قرأت عليك قل هو الله احد فقلت لي هذا ليس بمخلوق فقال له فلم حكيت عني اني قلت
لفظي بالقرآن غير مخلوق وبلغني انك وضعت ذلك في كتابك وكتبت به الى قوم فان كان في كتابك فامحه
اشد المحو واكتب الى القوم الذين كتبت اليهم اني لم اقل هذا وغضب وقال له تحكي عني ما لم اقل فجعل فوران
يعتذر اليه وانصرف من عنده وهو مرعوب فعاد ابو طالب فذكر له انه حك ذلك من كتابه وكتب الى
القوم يخبرهم انه وهم على ابي عبد الله في الحكاية وقال ابو عبد الله القرآن حيث يصرف الى غير مخلوق وقال عبد
الوهاب الوراق من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فانه يهجر ولا يكلم ويحذر منه وذكر الخلال في كتاب
القراءة عن اسحق ابن ابراهيم قال ابو عبد الله يعني احمد ابن حنبل يوما وكنت سألته عن قوله من لم
يتغن بالقرآن قال هو الرجل يرفع صوته به هذا معناه اذا رفع صوته به فقد تغنى به وعن [illegible]
صالح انه قال لابيه يرفع صوته بالقرآن في الليل قال نعم ان شاء رفع ثم ذكر حديث ام هانئ كنت
اسمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وانا على عريشي من الليل وقال الاثرم سألت ابا عبد الله عن القراءة
بالالحان فقال كل شيء محدث فانه لا يعجبني الا ان يكون صوت رجل لا يتكلفه واما قول القائل
ان احمد قال ذلك خوفا من الناس فبطلان هذا القول يعلمه كل عاقل بلغه شيء من اخبار احمد وكان بل
هذا هو العقوبة البليغة احوج منه الى الجواب لافترائه على الامام عمن كان الامام احمد صار
مثلا سائرا يضرب به المثل في المحنة والصبر على الحق فانه لم يكن يأخذه في الله لومة لائم حتى صار
الامامة مقرونة باسمه في لسان كل احد فيقال قال الامام احمد وهذا مذهب الامام احمد لقو
له وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا الاية فانه اعطي من الصبر واليقين ما نال به الامامة في الدين وقد
تداوله ثلاثة خلفاء سلطوا عليه من شرق الارض الى غربها ومعهم من العلماء المتكلمين والقضاة
والوزراء والسعاة والامراء والولاة ما لا يحصيه الا الله فبعضهم تسلط عليه بالحبس وبعضهم بالتهد
يد والتشديد وبعضهم يعده بالقتل وبغيره من الرغب وبعضهم بالترغيب في الرياسة والمال وبعضهم
بالنفي والتشريد من وطنه وقد خذله في ذلك اهل الارض حتى اصحابه العلماء والصلحاء وهو مع
ذلك لا يجيبهم الى كلمة واحدة مما طلبوا منه وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة ولا كتم العلم ولا
استعمل التقية بل قد اظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واثاره ما دفع به البدع المخالفة لذلك ما
لم يأت به مثله لعالم من نظرائه ولهذا قال بعض علماء الشام لم يظهر احد ما جاء به الرسول كما اظهره
احمد ابن حنبل فكيف يظن به انه يخاف من هذه الكلمة التي لا قدر لها وايضا فمن اصوله انه لا يقول في الدين

قولا مبتدعا فكيف بكلمة ما قالها احد قط والمنتسبين الى السنة او الحديث وان كانوا اصلح من غيرهم ففيهم
من البدع ما لا يوجد في الاسلام كالاسلام في الملل فكما انه يوجد في المنتسبين الى الاسلام ما لا يوجد
في غيرهم الى الخير وكل خير فهو في المسلمين اكثر وكل شر في المسلمين فهو في غيرهم اكثر فكل شر فيهم فهو في غيرهم اكثر
قال ويجب القطع بان كلام الادميين مخلوق ويطلق القول بذلك اطلاقا ولا يحتاج الى
تفصيل بان يقال نظمهم او تاليفهم وغير ذلك وذلك لان كلام المتكلم هو عبارة عن الفاظه ومعانيه جميعا
من ما يوجد في كتاب الله وسنة رسوله وكلام السلف وسائر الامم عربهم وعجمهم فيقال كلا
م الله سبحانه وتعالى وهو القران وهذا كلام الله وهذا كلام فلان فانه عند اطلاقه يتناول اللفظ
والمعنى جميعا لشموله لهما قال واما الواسطة الامر الوسط الباقي على الفطرة فيقو
لون لما بلغه المبلغ عن غيره واداه هذا كلام ذلك لا كلامك وانما بلغته بقولك كما قال
ابو بكر الصديق لما خرج على قريش فقرا الم غلبت الروم فقالوا اهذا كلامك
وكلام صاحبك فقال ليس هذا بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله و
في سنن ابي داود من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه
على الناس بالموقف فيقول الا رجل يحملني الى قومه لابلغ كلام ربي فان قريشا
قد منعوني ان ابلغ كلام ربي عز وجل فبين ان ما يبلغه ويتلوه هو
كلام الله عز وجل لا كلامه وانما يبلغه بافعاله وصوته والامم متفقون على هذا
اذا سمعوا من يروي قصيدة او كلاما او قرانا مستملة قالوا هذا كلام فلان
وقوله فانه هو الذي الصف والفه وانشاه قال وكذلك من اتبع اباءه
الذين سلطوا من غير اعتصام بالكتاب والسنة فانه مما ذمه الله في كتابه في
مثل قوله واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا
وفي قوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا الاية وكذلك من اتبع الظنون و لا
هواء معتقدا انها عقليات وذوقيات فهو مما قال الله فيه ان يتبعون الا
الظن وما تهوى الانفس وانما تفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب
المنزل من السماء والرسول فان الله تعالى بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
الاية وقال فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الاية قال وقوله

على

بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه الاية وقال ان الذين امنوا والذين
هادوا الاية فاخبر سبحانه عمن مضى ممن كان مستمسكا بدين حق من اليهود والنصا
رى والصابئين وعن المومنين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جميع الامم
من تلبس بهذه الخصال من سائر الامم وهي جماع الصلاح وهي الايمان بالله والبعث
والمعاد وعمل الصالحات وهي اداء المامورات وترك المحظورات بان له اجره عند
ربه ولا خوف عليه مما امامه ولا يحزنه على ما وراه والاسلام الوجه هو اخلاص الد
ين لله وهي عبادته وحده لا شريك له وهي حقيقة قول اياك نعبد واياك نستعين و
هو محسن فالاول وهو اسلام الوجه هو النية والثاني هو الاحسان وهو العمل
الصالح وهو الذي ذكره الله في هاتين الايتين وهو الايمان العام والاسلام العام الذ
ي اوجبه الله على جميع عباده من الاولين والاخرين وهو دين الله العام الذي
بعث به جميع الرسل وانزل به جميع الكتب فكان اول بدعة حدثت في هذه
الامة بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فانهم تكلموا في الفاسق الملي فزعمت
الخوارج والمعتزلة ان الذنوب الكبيرة ومنهم من قال والصغيرة لا تجامع
الايمان ابدا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الاكل والشرب الصيام قال
والايمان هو فعل المامور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المر
كبات فيكون العاصي كافرا لانه ليس بمومن وكافر وقالت المعتزلة ننزله
المنزلة بين المنزلتين نخرجه من الايمان ولا ندخله في الكفر وقابلتهم المرجئة
والجهمية ومن اتبعهم من الاشعرية والكرامية فقالوا ليس من الايمان فعل الاعمال
الواجبة ولا ترك المحظورات البدنية فان الايمان لا يقبل الزيادة ولا النقص
النقصان بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المومنين من الملائكة والمقربين
والمقتصدين والظالمين واما السلف والائمة فاتفقوا على ان الايمان قول و
عمل فيدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والاركان قال
المنتصرون لمذهبهم ان للايمان اصولا وفروعا وهو مشتمل على اركان وواجبات
ومستحبات بمنزلة اسم الحج والصلاة فان اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه

وبترك مثل الاحرام وترك مثل محظوراته والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى
والطواف والسعي ثم الحج مع هذا مشتمل على اركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف
بعرفة وعلى ترك محظور متى تركه فسد حجه وهو الوطي ومشتمل على واجبات من
فعل وترك ياثم بتركها عمدا ويجب لتركها لعذر اوغيره الجبران بدم كالاحرام
من المواقيت والجمع بين الليل والنهار بعرفة وكرمي الجمار ونحو ذلك ومشتمل
على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها ولا ياثم بتركها ولا توجب دما مثل رفع
الصوت بالاهلال والاكثار منه وسوق الهدي وذكر الله في تلك المواضع وقلة
الكلام الا في امر ونهي فمن فعل ذلك الواجب وترك المحظور فقد تم حجه وعمرته
لله وهو مقتصد من اصحاب اليمين في هذا العمل لكن من اتى بالمستحب فهو اكمل منه
واتم حجا وعملا وهو سابق مقرب ومن ترك المامور وفعل المحظور لكنه اتى
باركانه وترك مفسداته فهو حج ناقص يثاب على ما فعله من الحج ويعاقب على ما
تركه وقد سقط عنه اصل الفرض بذلك مع عقوبته على ما ترك ومن اخل بركن او
فعل مفسدا للحج فحجه فاسد لا يسقط به فرضه بل عليه اعادته مع انه قد تنازع في اثا
بته على ما فعله وان لم يسقط به الفرض والاشبه انه يثاب عليه فصار الحج
ثلاثة اقسام كاملا بالمستحبات وتاما بالواجبات فقط وناقصا عن الواجب
والفقهاء يقسمون الوضوء الى كامل ومجزي ويريدون بالكامل ما اتى بمفروضه
ومسنونه وبالمجزي ما اقتصر على واجبه فهذا في الاعمال المشروعة وكذلك في الا
عيان المشهودة فان الشجرة مثلا اسم لمجموع الجذع والاغصان وهي بعد وهي
بعد ذهاب الورق شجرة وبعد ذهاب الاغصان شجرة لكن كاملة وناقصة
فليكن مثل ذلك في اسم الايمان والذين قالوا الايمان ثلاث درجات ايمان
السابقين المقربين وهو ما اتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك وايما
ن المقتصدين اصحاب اليمين وهو   وهو ما ترك صاحبه فيه بعض
الواجبات وفعل فيه بعض المحظورات ولهذا قال علماء السنة لا يكفر احد بذ
نب اشارة الى بدعة الخوارج الذين يكفرون بالذنب وايمان الظا

لمين

لمين لانفسهم وهو من اثر اصل الايمان وهو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله
وهو شهادة ان لا اله الا الله ولم يفعل المامورات ويجتنب المحظورات فان اصل
الايمان التصديق والانقياد فهذا اصل الايمان الذي من لم يات به فليس بمومن
وقد تواتر في الحديث اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان او مثقال
حبة من خير او مثقال ذرة من خير والايمان بضع وستون او بضع وسبعون
شعبة اعلاها لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا شعبة
من الايمان فعلم ان الايمان يقبل التبعيض والتجزية وان قليله يخرج به صاحبه
من النار ان دخلها وليس كما يقوله الخارجون عن مقالة اهل السنة انه لا يقبل
التبعيض والتجزية بل هو شي واحد اما ان يحصل له كله واما انه لا يحصل له
منه شي واعلم ان عامة السور المكية التي انزلها الله بمكة هي في هذا الايمان العا
م المشترك بين الانبيا جميعهم والمومنين جميعهم وهذا القدر المشترك هو في بعض
الملل اعظم قدرا وصفاتا مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من صفات الله واسما
ئه وذكر اليوم الاخر اكمل مما جاءت به سائر الانبيا ومنه ما تختلف فيه الشرايع والمنا
هج كالقبلة والنسك ومقادير العبادات واوقاتها وصفاتها والسنن والا
حكام وغير ذلك فمسمى الايمان والدين في اول الاسلام ليس هو مسماه في اخر زمان
النبوة بل مسماه في الاخر اكمل من مسماه في اول البعثة وفي وسطها كما قال تعالى
في اخر الامر اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام د
ينا وقال بعدها ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله ولهذا قال الامام احمد
كان الايمان في اول الاسلام ناقصا فجعل يتم وهكذا مسمى الايمان والدين قد
يتنوع بحسب الاشخاص بحسب امر الله كلا منهم وبحسب ما يفعله مما امر به
وبحسب اقباله وحضوره واخلاصه فان المومنين من الاولين والاخرين
مشتركون في الايمان بالله واليوم الاخر والعمل الصالح ولكن بينهم تفاوت فيما في
القلوب اذا ذكر الله وما في اليوم الاخر مما تفاوت به الايمان فعند ذكر الجنة و
النجاة من النار وذم من يحرم بعضه ونحو ذلك يزداد به الايمان الواجب لقوله

انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية وقوله انما المومنون الذين
امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا الاية وقوله في الجنة
اعدت للذين امنوا بالله ورسله وقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن
الحديث فنفى الايمان وهو الواجب عنه الذي يستحق به الجنة ولا يستلزم ذلك
نفي اصل الايمان وسائر اجزائه وشعبه وهذا معنى قولهم نفي كمال الايمان لا حقيقته
وذكر ان الكمال الواجب ليس هو الكمال المستحب المذكور في قول الفقهاء الغسل كامل
ومجزي ومنه قوله عليه السلام من غشنا فليس منا ليس المراد به انه كافر
كما تاولته الخوارج ولا انه ليس من خيارنا كما تاولته المرجئة ولكن المظهر يطابق
المظهر والمظهر هو المومنون المستحقون للثواب السالمون من العذاب والغا
ش ليس منا لانه متعرض لعذاب الله وسخطه اذا تبين هذا فمن ترك بعض الايما
ن الواجب في الجملة لعجزه عنه اما لعدم تمكنه من العلم واما لعدم تمكنه من
العمل لم يكن مامورا بما يعجز عنه ولم يكن ذلك من الايمان والدين الواجب في
حقه وان كان من الدين والايمان في الاصل بمنزلة صلاة المريض والخائف وساير
اهل الاعذار الذين يعجزون عن اتمام الصلاة فان صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا
عليه وبه امروا وان كانت صلاة القادر على الاتمام اكمل وافضل كما قال النبي صلى
عليه وسلم المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير رواه م
وفي حديث حسن السياق ان الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس ولو امكنه
العلم به دون العمل لوجب الايمان به علما واعتقادا وان لم يعمل به قال فان الله قد
بين بنصوص معروفة ان الحسنات يذهبن السيئات وان من يعمل مثقال ذرة
خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وان مصايب الدنيا تكفر الذنوب وانه
يقبل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم في اهل الكباير وانه يغفر الذنوب جميعا لغير
ما دون الشرك وان الصدقة يبطلها المن والاذى وان الربا يبطل العمل
ونحو ذلك فجعل للسيئات ما يوجب رفع عاقبتها كما جعل للحسنات ما قد يبطل
ثوابها لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات الا التوبة كما انه ليس شيء يبطل جميع

الحسنات

والرسول الاية الى ان قال ونعلم نحن بالضرورة ان النبي لم يشرع لامته ان
يدعوا احدا من الاموات لا الانبيا ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغا
ثة ولا غيرها كما انه لم يشرع لامته السجود لميت ولا الى ميت ونحو ذلك بل نعلم انه
نهى عن كل هذه الامور وان ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله لكن
لغلبة الجهل وقلة العلم باثار الرسالة في كثير من المتاخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك
حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه ولهذا ما بينت هذه المسئلة قط
لمن يعرف اصل الاسلام الا تفطن لها وقال هذا اصل دين الاسلام وكان
بعض اكابر الشيوخ من اصحابنا يقول هذا اعظم ما بينته لنا لعلمه بان هذا
اصل دين الاسلام وكان هذا وامثاله في ناحية اخرى يدعون الاموات و
يسئلونهم ويستجيرون بهم ويتضرعون اليهم وربما كان ما يفعلونه اعظم لانهم
انما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم فيدعون دعاء المضطر راجين قضا
حاجاتهم بدعائه او بالدعاء به او الدعا عند قبره بخلاف عبادتهم الله فانهم يفعلونه
في كثير من الاوقات على وجه العادة والتكلف حتى ان العدو الخارج عن شريعة
الاسلام لما قدموا دمشق خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي ير
جون عندها كشف الضر قال بعض الشعراء او قال

يا خايفين من التتر ... لوذوا بقبر ابي عمر
عوذوا بقبر ابي عمر ... ينجيكم من الضرر

فقلت لهم هولاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا
كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم احد ولهذا كان اهل المعرفة بالدين
والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي امر الله به ورسوله
ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصرة المطلوبة من القتال
فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الاخرة لمن عرف هذا وهذا وان كان كثير
من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالا شرعيا اجروا على نياتهم فلما كان بعد
ذلك جعلنا نامر الناس بالاستغاثة بالله والاستعانة به وانهم لا يستغيثون

الا اياه يستغيثون بملك مقرب ولا نبي مرسل فلما اصلح الناس امورهم
وصدقوا في الاستغاثة بربهم نصرهم على عدوهم نصرا عزيزا لم يتقدم نظيره
ولم تهزم التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك لما صح من تحقيق توحيد الله وطاعة
رسوله ما لم يكن قبل ذلك قال الله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحيوة الد
نيا ويوم يقوم الاشهاد والله اعلم تمت اخره ما وجدت بخط الشيخ احمد
ابن ناصر فقد جرد خط ملخصه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على محمد وسلم

الناقل مرحوم

وقف

وقف بسم الله الرحمن الرحيم ٤٢ سئل شيخ الاسلام ابو العبا
س احمد ابن تيمية رحمه الله تعالى عن قوله فان استقر مكانه فسوف
تراني هل استقرار الجبل ممكن ام لا وهل هذا الكلام محفوظ ومن قال ان الله
استقرار الجبل ممكن هل يلزمه عقوبة ام لا **فاجاب** الحمد لله
ان كان مراد القايل ان الله قادر على ان يجعل الجبل مستقرا وان يرا نفسه لموسى فان
الله قادر على ذلك وان كان مراد القايل ان الجبل استقر وان موسى راى ربه فهذا
كاذب مفتر مخالف للكتاب والسنة والاجماع يستتاب فان تاب والا قتل
وقد اجمع سلف الامة على ان المومنين يرون ربهم في الاخرة وقد اجمعوا على انهم لا يرونه
في الدنيا بعيونهم وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واعلموا ان احدا
منكم لن يرى ربه حتى يموت **مسئلة** ٤٣ في التلفظ بالنية والجهر بها **الجواب** و
الحمد لله الجهر بلفظ النية ليس مشروعا عند احد من علماء الدين ولا فعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من خلفائه وسلف الامة وايمتها ومن ادعى
ان ذلك دين الله وانه واجب فانه يجب تعريفه الشريعة واستتابته من
هذا القول فان اصر قتل بل النية الواجبة للعبادات كالوضوء والغسل
والصلاة والزكاة والصيام والكفارة وغير ذلك محلها القلب دون اللسان فلو
نوى بقلبه خلاف ما تكلم فيه كانت العبرة بما نواه لا بما لفظ به ومتى نوى بقلبه و
لم يتلفظ بلسانه صحت نيته عند الائمة الاربعة وساير ائمة المسلمين من الاولين

والاخرين

والاخرين وليس في ذلك خلاف عند احد ممن يقتدى به ويفتى بقوله لكن
بعض المتاخرين من اتباع الايمة زعم ان التلفظ بالنية واجب ولم يقل ان
الجهر بها واجب ومع ان هذا القول خطا صريح مخالف لاجماع المسلمين
ولما علم بالاضطرار من دين الاسلام عند من يعلم سنة رسول الله صلى الله عليه و
سلم وسنة خلفائه وكيف كان يصلي الصحابة والتابعين فان كل من كان يعلم
ذلك يعلم انهم لم يكونوا يتلفظون بالنية ولا امرهم النبي صلى الله عليه وسلم بذ
لك ولا علم احدا من الصحابة بل قد ثبت في الصحيحين وغيرهما انه قال للاعرا
بي اذا قمت الى الصلاة فكبر ثم اقرا ما تيسر معك من القران وفي السنن عنه
انه قال مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم وفي
في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفتتح الصلا
ة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين وقد ثبت بالنقل المتواتر وا
جماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يفتتحون الصلاة با
لتكبير والقراءة بالحمد ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن احد من الصحا
بة انه تلفظ قبل التكبير بلفظ النية لا جهرا ولا سرا ولا انه امر بذلك ومع
انه من المعلوم ان الهمم والدواعي متوفرة على نقل ذلك ولو كان وانه يمتنع من
اهل التواتر عادة وشرعا كتمان نقل ذلك فاذا لم ينقله احد علم قطعا انه لم يكن
يقوله ولهذا تنازع الفقهاء المتاخرون في اللفظ بالنية هل هو مستحب مع
النية التي في القلب فاستحبه طايفة من اصحاب ابي حنيفة والشافعي واحمد
وقالوا لانه اوكد واتم تحقيقا للنية ولم يستحبه طايفة من اصحاب مالك و
احمد وغيرهما بل راوا انه بدعة مكروهة قالوا لو كان مستحبا لفعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم او لامر به فانه صلى الله عليه وسلم قد بين كلما يقرب الى الله لا سيما الا
الصلاة التي انما توخذ صفتها عنه وقد ثبت في الصحيح عنه انه قال صلوا كما را
يتموني اصلي فلو اهولاء فزيادة هذه وامثالها في الصلاة بمنزلة ساير العبادات
لمن زاد في العيدين الاذان ومن زاد في السعي صلاة ركعتين على المروة وامثال

ذلك وايضا قالوا فان التلفظ بالنية فاسد في العقل فان قول القايل
انوي ان افعل كذا وكذا كانوي ان اكل هذا الطعام لاشبع او انوي ان
البس هذا الثوب لاستتر مثال ذلك من النيات الموجودة في القلب
التي يستقبح بها النطق وقد قال تعالى قل تعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في
السموات وما في الارض وقال طايفة من السلف في قوله انما نطعمكم لوجه
الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قالوا لم يقولوه بالسنتهم وانما علمه الله في قلوبهم و
بالجملة فلا بد من النية في القلب بلا نزاع واما التلفظ سرا فهل يجب
او يكره فيه نزاع بين المتاخرين واما الجهر بها فهو مكروه منهي عنه باتفاق
المسلمين وكذلك تكريرها وسواء في ذلك الامام والماموم والمنفرد فكل هؤلا
ء لا يسوغ لاحد منهم ان يجهر بلفظ النية ولا يكررها باتفاق المسلمين بل ينهو
ن عن ذلك بل جهر المنفرد بالقراءة اذا كان فيه اذى لغيره لم يشرع كما خرج النبي
صلى الله عليه وسلم على اصحابه وهم يصلون فقال يا ايها الناس كلكم يناجي ربه فلا
يجهر بعضكم على بعض بالقراءة واما الماموم فيشرع له المخافتة باتفاق المسلمين
لكن اذا جهر احيانا بشيء من الذكر فلا باس كالامام اذا اسمعهم احيانا الاية
في صلاة السر فقد ثبت في الصحيح عن ابي قتادة انه اخبر عن النبي صلى الله عليه و
سلم انه كان في صلاة الظهر والعصر يسمعهم الاية احيانا وثبت في الصحيح ان من
الصحابة الماموميين من جهر بدعاء حين افتتاح الصلاة وعند رفع راسه من الر
كوع ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ومن اصر على فعل من البدع وتحسينها
فانه ينبغي ان يعزر تعزيرا يردعه وامثاله عن ذلك ومن ينسب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم الباطل فانه يعرف فان لم ينته عوقب ولا يحل لاحد ان يتكلم
في الدين بلا علم واما قول القايل كل يعمل الذي يشتهي فهي كلمة عظيمة يجب
ان يستتاب منها فان تاب والا عوقب بل الاصرار على اعتقاده هذه الكلمة
يوجب القتل وليس لاحد ان يعمل في الدين الا ما شرعه الله ورسوله دون ما
يشتهيه ويهواه ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وان كثيرا

ليضلون

ليضلون باهوائهم بغير علم ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ولا تتبعوا اهوا
ء قوم قد ضلوا من قبل ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا فلا و
ربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال والذي نفسي بيده لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال تعالى
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان
يتحاكموا الى الطاغوت الاية وقال تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا
من دونه اولياء الاية ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن
وامثال هذا في القران كثير فتبين ان على العبد ان يتبع الحق الذي بعث
الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعا لهواه والله اعلم **مسئلة** ٢٧٩ هل يجب ان تكو
ن النية مقارنة للتكبير والسوال ان يوضح لنا كيفية مقارنتها التكبير
الجواب كما ذكر الشافعي انه لا تصح الصلاة الا بمقارنتها التكبير وهذا يعسر
اما مقارنتها للتكبير فللعلماء فيه قولان مشهوران احدهما لا يجب كما هو مذهب
احمد وغيره والثاني يجب كما هو مذهب الشافعي وغيره والمقارنة المشروطة
قد تفسر بوقوع التكبير عقب النية وهذا ممكن لا صعوبة فيه بل عامة الناس
انما يصلون هكذا بل هذا امر ضروري لو كلفوا تركه لعجزوا عنه وقد تفسر با
نبساط اجزاء النية على اجزاء التكبير بحيث يكون اولها مع اوله واخرها مع اخره
وهذا لا يصح لانه يقتضي عزوب كمال النية في اول الصلاة وخلو اول
الصلاة عن النية الواجبة وقد تفسر بحضور جميع النية مع جميع اجزاء التكبير
وهذا تنوزع في امكانه فمن العلماء من قال ان هذا غير ممكن ولا مقدور للبشر
عليه فضلا عن وجوبه ولو قيل بامكانه فهو متعسر فيسقط بالحرج وايضا
فمما يبطل هذا والذي قبله ان المكبر ينبغي له ان يتدبر التكبير ويتصوره
فيكون قلبه مشغولا بمعنى التكبير لا بما يشغله عن ذلك من استحضار المنوي
ولان النية من الشروط والشروط تتقدم العبادة ويستمر حكمها الى اخرها كالطها
رة والله اعلم **مسئلة** ٢٨٠ في امام شافعي يقول اصلي الله اكبر الله اكبر يكرر التكبير

مرات والناس وقوف خلفه **الجواب** تكرير اللفظ بالنية و
التكبير والجهر وتلفظ النية ايضا منهي عنه عند الشافعي وساير ائمة الاسلام
وفاعل ذلك مسيء وان اعتقده دينا فقد خرج عن اجماع المسلمين ويجب نهيه
عن ذلك ويعزل عن الامامة اذا لم ينته فانه في سنن ابي داود ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر بعزل امام لاجل بصاقه في القبلة فان الامام عليه ان يصلي
كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ليس له ان يقتصر على ما يقتصر عليه المنفرد بل ينتهي
عن التطويل والتقصير **مسئلة** ٤٧١ في الخضر عليه السلام هل كان نبيا
او وليا وهل هو حي الان ام لا فان كان حيا فما تقولون فيما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كان حيا لزارني فهل هذا الحديث صحيح ام لا **الجواب**
اما نبوته فمن بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يوح اليه ولا الى الناس واما
قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقد اختلف في نبوته ومن قال انه نبي لم يقل
انه سلب النبوة بل يقول هو كالياس نبي لكن لم يوح اليه في هذه الاوقات
وترك الوحي اليه مدة معينه ليس سلبا لحقيقة النبوة كما لو فتر الوحي عن النبي صلى الله
عليه وسلم في اثناء مدة رسالته واكثر العلماء على انه لم يكن نبيا مع ان نبوة من
قبلنا يقرب كثير منها من الولاية الكاملة في الامة وان كان كل واحد من النبيين
افضل من كل واحد من الصديقين وغيرهم كما رتبه القران وكما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال ما طلعت شمس ولا غربت على احد بعد النبيين والمرسلين
افضل من ابي بكر وروي عنه انه قال ان كان الرجل ليسمع الصوت فيكون
نبيا وفي هذه الامة من يسمع ويرى الضوء وليس بنبي لان ما يراه ويسمعه يجب عليه
ان يعرضه على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فان وافقه فهو حق وان خالفه
فهو باطل والنبي يتيقن ان الذي جاءه من عند الله يقينا لا يخالطه ريب
ولا يحوجه ان يستشهد عليه بموافقة غيره واما حياته فهو حي والحديث
المذكور لا اصل له ولا يعرف له اسناد بل المروي في مسند الشافعي وغيره
انه بالنبي صلى الله عليه وسلم ومن قال انه لم يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد قال

ما الاعلم

ما لا علم له به فان هذا من القول الذي لا يحاط به ومن احتج على وفاته فانه يقول
النبي صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى على وجه الا
رض ممن هو عليها اليوم احد فلا حجة فيه فانه يمكن ان يكون الخضر اذ ذاك ليس على
وجه الارض ولان الدجال ثبت بحديث الجساسة الصحيح انه كان حيا مو
جودا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم باقيا الى اليوم لم يخرج وهو في جزيرة من
جزائر البحر فما كان الجواب عنه كان الجواب عن الخضر وهو اما ان يكون لفظ
الارض لم يدخل فيها البحر او يكون اراد صلى الله عليه وسلم من الادميين المعروفين
فاما من خرج عن العادة فلم يدخل في العموم كما لم يدخل الجن وان كان لفظ من
ينتظم الجن والانس وتخصيص مثل هذا النوع من مثل هذا العموم كثير
معتاد والله اعلم **مسئلة** ٤٧٢ ما دوى من تحكم فيه الداء وما العمل فيمن غلب عليه
الكسل وما الحيلة فيمن استولت عليه الحيرة ان تحصلت التوجه الى الله منعه
هواه وان داوم على الاذكار غلب عليه الافكار وغلبة الهوى فتراه في وقاته
حيران صاحي بل هو السكران **الجواب** دواؤه الالتجاء الى الله ودوام
التضرع عند الدعاء بان يتعلم الادعية المأثورة ويتوخى الدعاء في مظان الاجابة
مثل اخر الليل واوقات الاذان والاقامة وفي سجوده وادبار الصلوات
ويضم الى وقت النوم وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف فانه لا
يلبث ان يؤيده الله بروح منه ويكتب الايمان في قلبه وليحرص على اكمال الفرا
يض من الصلوات الخمس بباطنه وظاهره فانها عمود الدين وليكن
هجيراه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانه بها تحمل الاثقال ويكابد الا
هوال وينال رفيع الاحوال ولا يسام من الدعاء والطلب فان العبد يستجا
ب له ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي وليعلم ان النصر مع الصبر
وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولم ينل احد شيئا الا بالصبر
والحمد لله رب العالمين **مسئلة** ٤٧٣ في جماعة من الفقراء مقيمون في زاوية على
طريق اللصوص وقد اعتادوا يوم الجمعة ان يجعلوا شخصا يحرس المكان

حيث دخل عليهم اللصوص صبيحة يوم الجمعة والمكان لا ابواب لكن يغلب على
الظن اذا كانوا في ساحة المكان واستتروا عن العيون ان لا يحس عليهم فكم
الاقفال او قلع الابواب فهل هذا العذر مع غلبة الظن كاف في جواز ترك الجمعة
لذلك الحارس ام لا وهل يحصل للحارس احتساب ما يحصل للحاضر في
الجمعة من الفضل العظيم ولا يفوت ذلك شيئا ام لا وكيف الحكم اذا لم يتبرع
احد بالحراسة وهناك حوائج لابد من حراستها هل يجعل لكل شخص نوبة ام
يقرع بينهم واذا سامحوا شخصا بان لا حراسة عليه هل يجوز ان يؤثر اخوانه
بفضيلة الجمعة ويتبرع هو بالحراسة اذا لم يمكن ان يحرس ثم هل يحصل له اجر الجمعة
بكمالها ام لا **الجواب** نعم ذلك عذر في حراسة بعضهم وترك الجمعة
اذا لم يمكن ان يحرس من لا يجب عليه الجمعة وان كان الحارس ونحوه ممن ترك الجمعة
لعذر نيته ان يحضرها لولا العذر فله مثل اجرهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم العذر
والسنة في مثل هذا ان يتناوب الجماعة الحراسة كما كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتناوبون رعاية الابل مع ان راعيها قد تفوته الجماعة
والجمعة والافضل لكل منهم والحال هذه ان يحرس ولا يخير على اصحابه واجره
على قدر نيته **مسألة** ٤٧٤ ما تقول السادة الفقهاء ائمة الدين رضي الله
عنهم اجمعين في هؤلاء التتار الذين قدموا سنة تسع وتسعين وستمائة
وفعلوا ما اشتهر من قتل بعض المسلمين وسبي الذراري والنهب لمن و
جدوه من المسلمين وهتكوا حرمات الدين من اذلال العلماء واهانة
المساجد لاسيما بيت المقدس وافسدوا فيه واخذوا من اموال المسلمين
واموال بيت المال الحمل العظيم واسروا من رجال المسلمين الجم الغفير واخر
جوهم عن اوطانهم وادعوا مع ذلك التمسك بالشهادتين وادعوا تحريم
قتال مقاتلتهم لما زعموا من اتباع اصل الاسلام ولكونهم عفوا عن استيصال
المسلمين فهل يجوز قتالهم او يجب واياما كان فمن اي الوجوه جوازه او

وجوبه افتونا ماجورين **الجواب** كل طائفة ممتنعة عن التزام شرايع
الاسلام الظاهرة المتواترة من هؤلاء القوم وغيرهم فانه يجب قتالهم حتى
يلتزموا شرايعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض
شرايعه كما قاتل ابو بكر والصحابة رضي الله عنهم مانعي الزكاة وعلى ذلك اتفق
الفقهاء بعدهم بعد سابقة مناظرة عمر لابي بكر رضي الله عنهما فاتفق الصحابة رضي
الله عنهم على القتال على حقوق الاسلام عملا بالكتاب والسنة وكذلك
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من عشرة اوجه الحديث عن الخوارج واخبر انهم شر
الخلق والخليقة مع قوله تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم فعلم
ان مجرد الاعتصام بالاسلام مع عدم التزام شرايعه ليس بمسقط للقتال
فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة فمتى كان الدين لغير الله
فالقتال واجب فايما طائفة ممتنعة امتنعت من بعض الصلوات المفروضات
او الصيام او الحج او عن التزام تحريم الدماء والاموال او الخمر او الزنا او الميسر او
عن نكاح ذوات المحارم او عن التزام جهاد الكفار وضرب الجزية على اهل الكتا
ب وغير ذلك من واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لاحد في جحودها
وتركها التي يكفر الجاحد لوجوبها فان الطائفة الممتنعة على تركها ام لا فانا
ما الواجبات او المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها
وهؤلاء عند المحققين من العلماء ليسوا بمنزلة مانعي الزكاة وبمنزلة الخوارج
الذين قاتلهم علي بن ابي طالب ولهذا افترقت سيرة علي رضي الله عنه فان
اولئك خارجون في قتاله لاهل البصرة والشام وفي قتاله لاهل النهروان فكا
نت سيرته مع اهل البصرة والشاميين سيرة الاخ مع اخيه ومع الخوارج بخلا
ف ذلك وثبتت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بما استقر عليه اجماع
الصحابة من قتال الصديق وقتال الخوارج بخلاف الفتنة الواقعة مع اهل
الشام واهل البصرة فان النصوص دلت فيها بما دلت والصحابة والتابعين
بعدهم اختلفوا فيها على ان من الفقهاء الائمة من يرى ان اهل البغي الذين يجب

قتالهم كالخارجين على الامام بتاويل سائغ لا كالخارجين عن طاعته واخرو
ن يجعلون القسمين بغاة وبين البغاة والتتار فرق بين فاما
الذين لا يلتزمون شرايع الاسلام الظاهرة المتواترة فلا اعلم في وجوب قتا
لهم خلافا فاذا تقررت هذه القواعد فهولاء القوم المسئول عنهم
عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين وعلى قوم منتسبين الى الا
سلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين اذا طلبت منهم ويعظمون الرسو
ل وليس فيهم من يصلي الا قليل جدا وصوم رمضان اكثر عندهم من الصلاة و
المسلم عندهم اعظم من غيره وللصالحين من المسلمين عندهم قدر وعندهم من
الاسلام بعضه وهم متفاوتون فيه لكن الذي عليه عامتهم والذين يقاتلون
عليه متضمن لترك كثير من شرايع الاسلام او اكثرها فانهم اولا يوجبون الاسلام ولا يقا
تلون من تركه بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وان كان كافرا عدوا
لله ورسوله وكل من خرج عن دولة المغول او عليها استحلوا قتاله وان كان من خيا
ر المسلمين فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون اهل الكتاب بالجزية والصغا
ر ولا ينهون احدا من عسكرهم ان يعبد ما شاء من شمس او قمر او غير ذلك بل الظا
هر من سيرتهم ان المسلم عندهم بمنزلة العدل او الرجل الصالح او المتطوع في
المسلمين والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين او بمنزلة تارك التطوع
وكذلك ايضا عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين واموالهم الا ان ينهاهم عنها سلطا
نهم اي لا يلتزمون تركها واذا نهاهم عنها او عن غيرها اطاعوه لكونه سلطانا لا بمجرد
الدين وعامتهم لا يلتزمون اداء الواجبات لا من الصلاة ولا من الزكاة ولا من
الحج ولا غير ذلك ولا يلتزمون ايضا الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون باوضاع لهم توافق
الاسلام تارة وتخالفه اخرى وانما كان الملتزم بشرايع الاسلام الشيزبرد
وهو الذي اظهر من شرايع الاسلام ما استفاض عند الناس واما هولاء فدخلوا
فيه وما التزموا شرايعه وقتال هذا الضرب واجب باجماع المسلمين وما يشك في
ذلك من عرف دين الاسلام وعرف حقيقة امرهم فان هذا السلم الذي هم عليه

ودين الاسلام لا يجتمعان ابدا واذا كان الاكراد والاعراب وغيرهم من اهل البوا
دي الذين لا يلتزمون شريعة الاسلام يجب قتالهم وان لم يتعد ضررهم الى اهل
الامصار فكيف بهولاء نعم يجب ان يسلك في قتالهم المسلك الشرعي من
دعائهم الى التزام الشرايع ان لم تكن الدعوة الى الشرايع قد بلغتهم كما كان الكافر الحر
بي يدعى اولا الى الشهادتين ان لم تكن الدعوة قد بلغتهم فان اتفق من يقاتلهم على
الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله واعزاز كلمته واقامة دينه وطاعة رسوله
وان كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بان يكون يقاتل على الرياسة او يتعدى عليهم
في بعض الامور وكانت مفسدة ترك قتالهم اعظم على الدين من مفسدة قتالهم على
هذا الوجه كان الواجب ايضا قتالهم دفعا لاعظم المفسدتين بالتزام ادناهما فان هذا
من اصول الاسلام التي ينبغي مراعاتها ولهذا كان من اصول السنة والجماعة الغزو
مع كل بر وفاجر فان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما اخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لانه اذا لم يتفق الغزو الا مع الامرا الفجار او مع عسكر كثير
الفجور فانه لا بد من احد امرين اما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الاخرين
الذين هم اعظم ضررا في الدين والدنيا واما الغزو مع الامير الفاجر فيحصل بذلك د
فع الافجرين واقامة اكثر شرايع الاسلام وان لم يمكن اقامة جميعها وهذا هو
الواجب في هذه الصورة وكلما اشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفا الراشد
ين لم يقع الا على هذا الوجه وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها
الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه ابو داود
في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طايفة من امتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من خالفهم الى يوم القيمة الى غير ذلك من النصوص التي اتفق اهل
السنة والجماعة من جميع الطوايف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع
الامرا ابرارهم وفجارهم بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجما
عة هذا مع اخباره صلى الله عليه وسلم بانه سيلي امرا ظلمة خونة فجرة فمن صدق
هم بكذبهم واعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض ومن لم يصدقهم

قتالهم هم الخارجون على الامام بتاويل سائغ لا الخارجون عن طاعته واخرو
ن يجعلون القسمين بغاة وبين البغاة وبين التتار دين فرق بين فاما
الذين لا يلتزمون شرائع الاسلام الظاهرة المتواترة فلا اعلم في وجوب قتا
لهم خلافا فاذا تقررت هذه القواعد فهؤلاء القوم المسئول عنهم
عسكرهم مشتمل على قوم كفار من النصارى والمشركين وعلى قوم منتسبين الى الا
سلام وهم جمهور العسكر ينطقون بالشهادتين اذا طلبت منهم ويعظمون الرسول
وليس فيهم من يصلي الا قليل جدا وصوم رمضان اكثر فيهم من الصلاة و
المسلم عندهم اعظم من غيره وللصالحين من المسلمين عندهم قدر وعندهم من
الاسلام بعضه وهم متفاوتون فيه لكن الذي عليه عامتهم والذين يقاتلون
عليه متضمن لترك كثير من شرائع الاسلام او اكثرها فانهم اولا يوجبون الاسلام ولا يقا
تلون من تركه بل من قاتل على دولة المغول عظموه وتركوه وان كان كافرا عدوا
لله ورسوله وكل من خرج عن دولة المغول او عليها استحلوا قتاله وان كان من خيا
ر المسلمين فلا يجاهدون الكفار ولا يلزمون اهل الكتاب بالجزية والصغا
ر ولا ينهون احدا من عسكرهم ان يعبد ما شاء من شمس او قمر او غير ذلك بل الظا
هر من سيرتهم ان المسلم عندهم بمنزلة العدل او الرجل الصالح او المتطوع في
المسلمين والكافر عندهم بمنزلة الفاسق في المسلمين او بمنزلة تارك التطوع
وكذلك ايضا عامتهم لا يحرمون دماء المسلمين واموالهم الا ان ينهاهم عنها سلطا
نهم اي لا يلتزمون تركها واذا نهاهم عنها او عن غيرها اطاعوه لكونه سلطانا لا بمجر
د الدين وعامتهم لا يلتزمون اداء الواجبات لا من الصلاة ولا من الزكاة ولا من ال
حج ولا غير ذلك ولا يلتزمون ايضا الحكم بينهم بحكم الله بل يحكمون باوضاع لهم توافق
الاسلام تارة وتخالفه اخرى وانما كان الملتزم بشرائع الاسلام الشهيربرد و
وهو الذي اظهر من شرائع الاسلام ما استفاض عند الناس واما هؤلاء فدخلوا
فيه وما التزموا شرائعه وقتال هذا الضرب واجب باجماع المسلمين وما يشك في
ذلك من عرف دين الاسلام وعرف حقيقة امرهم فان هذا السلم الذي هم عليه

ودين

ودين الاسلام لا يجتمعان ابدا واذا كان الاكراد والاعراب وغيرهم من اهل البوا
دي الذين لا يلتزمون شريعة الاسلام يجب قتالهم وان لم يتعد ضررهم الى اهل
الامصار فكيف بهؤلاء نعم يجب ان يسلك في قتالهم المسلك الشرعي من
دعائهم الى التزام الشرائع ان لم تكن الدعوة الى الشرائع قد بلغتهم كما كان الكافر الحر
بي يدعى اولا الى الشهادتين ان لم تكن الدعوة قد بلغتهم فان اتفق من يقاتلهم على
الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله واعزاز كلمته واقامة دينه وطاعة رسوله
وان كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بان يكون يقاتل على الرياسة او يتعدى عليهم
في بعض الامور وكانت مفسدة ترك قتالهم اعظم على الدين من مفسدة قتالهم على
هذا الوجه كان الواجب ايضا قتالهم دفعا لاعظم المفسدتين بالتزام ادناهما فان هذا
من اصول الاسلام التي ينبغي مراعاتها ولهذا كان من اصول السنة والجماعة الغزو
مع كل بر وفاجر فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا خلاق لهم كما اخبر
بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لانه اذا لم يتفق الغزو الا مع الامراء الفجار او مع عسكر كثير
الفجور فانه لا بد من احد امرين اما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الاخرين
الذين هم اعظم ضررا في الدين والدنيا واما الغزو مع الامير الفاجر فيحصل بذلك د
فع الافجرين واقامة اكثر شرائع الاسلام وان لم يمكن اقامة جميعها وهذا هو
الواجب في هذه الصورة وكلما اشبهها بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشد
ين لم يقع الا على هذا الوجه وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود في نواصيها
الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه ابو داود
في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من خالفهم الى يوم القيامة الى غير ذلك من النصوص التي اتفق اهل
السنة والجماعة من جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع
الامراء ابرارهم وفجارهم بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجما
عة هذا مع اخباره صلى الله عليه وسلم بانه سيلي امراء ظلمة خونة فجرة فمن صدق
هم بكذبهم واعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض ومن لم يصدقهم

بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه وسيرد على الحوض فاذا احاط المرء علما
بما امر النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الامراء الى يوم القيمة وبما نهى عنه
من اعانة الظلمة على ظلمهم علم ان الطريقة الوسطى التي هي دين الاسلام المحض جهاد
من يستحق الجهاد كهولاء القوم المسئول عنهم مع كل امير وطائفة هي اولى بالاسلام
منهم اذا لم يمكن جهادهم الا كذلك واجتناب اعانة الطائفة التي يغزو معها على
شيء من معاصي الله بل يطيعهم في طاعة الله ولا يطيعهم في معصية الله اذ لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق وهذه طريقة خيار هذه الامة قديما وحديثا
وهي واجبة على كل مكلف وهي متوسطة بين طريقة الحرورية وامثالهم ممن
يسلك مسلك الورع الفاسد الناشي عن قلة العلم وبين طريقة المرجئة وامثا
لهم ممن يسلك مسلك طاعة الامراء مطلقا وان لم يكونوا ابرارا ونسال الله سبحانه
ان يوفقنا وجميع اخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والله اعلم

مسئلة ٢٧٥ في رجلين تناظرا فقال احدهما لا بد لنا من واسطة بيننا وبين
الله فانا لا نقدر ان نصل اليه بغير ذلك **الجواب** الحمد لله رب العا
لمين ان اراد بذلك انه لا بد من واسطة تبلغنا امر الله فهذا حق فان الخلق لا
يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما امر به ونهى عنه وما اعده لاوليائه من كرامته
وما وعد به اعدائه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله من اسمائه الحسنى وصفاته
العلا التي تعجز العقول عن معرفتها وامثال ذلك الا بالرسل الذين ارسلهم الله
الى عباده فالمومنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى
ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والاخرة واما المخالفون للرسل فانهم ملعونون
وهم ضالون وعن ربهم محجوبون قال تعالى يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون
عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال فاما يا
تينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى الى قوله وكذلك اليوم تنسى
قال ابن عباس تكفل الله لمن [...] بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الاخرة وقال عن اهل النار كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا

بلى

بلى قد جاءنا نذير فكذبنا الاية وقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا الى قوله
ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقال تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين فمن امن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا
يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون وقال تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح و
النبيين من بعده الى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس
على الله حجة بعد الرسل ومثل هذا في القران كثير وهذا مما اجمع عليه اهل الملل
من المسلمين واليهود والنصارى فانهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عبا
ده وهم الرسل الذين بلغوا عن الله امره ونهيه قال تعالى الله يصطفي من الملا
ئكة رسلا ومن الناس ومن انكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل والسور
التي انزلها الله بمكة مثل سورة الانعام والاعراف وذوات الر وحم وطس ونحو
ذلك الايمان بالله ورسوله واليوم الاخر وقد قص الله قصص الكفار
الذين كذبوا الرسل وكيف اهلكهم ونصر رسله والذين امنوا قال تعالى
ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون الاية قال تعالى انا
لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد الاية وهذه
الوسائط تطاع وتتبع ويقتدى بها كما قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا
ليطاع باذن الله وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال فالذين امنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون وقال لقد كان لكم في رسو
ل الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا
وان اراد بالواسطة انه لا بد من واسطة تتخذ العباد بينهم وبين الله
في جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون الشرك الذي كفر الله به المشركين
حيث اتخذوا من دون الله اوليا وشفعا يجتلبون بهم المنافع ويدفعون
بهم المضار لكن الشفاعة لمن ياذن الله له فيها قال تعالى ما لكم من دونه من
ولي ولا شفيع افلا تتذكرون وقال وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم

ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع وقال وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس
لها من دون الله ولي ولا شفيع وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله الى قو
له ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه
فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا الى قوله محذورا قال طايفة من السلف
كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملايكة والانبيا فبين الله لهم
ان الملايكة والانبيا لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا وانهم يتقربون اليه
ويرجون رحمته ويخافون عذابه وقال تعالى ما كان لبشر ان يوتيه الله الكتاب
والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين
بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملايكة والنبيين
اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون فبين سبحانه ان اتخاذ الملايكة و
النبيين اربابا كفرا فمن جعل الملايكة والانبيا وسايط يدعوهم ويتوكل
عليهم ويسالهم جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يسالهم غفران الذنوب و
هداية القلوب وتفريج الكربات وسد الفاقات فهو كافر باجماع
المسلمين وقد قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا
يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم كذلك نجزي الظالمين وقال لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا
لله ولا الملايكة المقربون الاية وقال ان كل من في السموات والارض الا
اتي الرحمن عبدا الايتين وقال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم و
لا ينفعهم ويقولون هولا شفعاونا عند الله الاية وقال وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى
وقال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقال وان يمسسك الله بضر
فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم

وقال

وقال قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره
الاية ومثل هذا في القران كثير ومن سوى الا من مشايخ العلم والدين
من اثبتهم وسايط بين الرسول وامته يبلغونهم ويعلمونهم ويقتدون بهم فقد اصاب في ذلك
وهم اذا اجتمعوا فاجماعهم حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة وان اختلفوا في شي
ردوه الى الله والرسول اذ الواحد منهم ليس بمعصوم على الاطلاق بل كل يوخذ من قوله
ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء
ان العلماء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر
اثبتهم وسايط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذين بين الملك ورعيته بحيث يكونون
هم يرفعون اليه حوايج خلقه وان الله تعالى انما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتو
سطهم بمعنى ان الخلق يسالونهم وهم يسالون الله كما ان الوسايط عند الملوك يسالون
الملوك حوايج الناس لقربهم منهم والناس يسالونهم ادبا منهم ان يباشروا سوال الملك
او لان طلبهم من الوسايط انفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم اقرب الى الملك من الطالب
فمن اثبتهم وسايط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب ان يستتاب فان تاب والا
قتل وهولاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله اندادا وفي القران من الرد على
هولاء ما لا تتسع له هذه الفتوى فان الوسايط التي بين الملوك تكون على احد وجوه
ثلاثة احدها اخبارهم عن احوال الناس بما لا يعرفونه ومن قال ان الله تعالى لا يعرف
احوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملايكة او الانبيا فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر و
اخفى لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم البصير يسمع ضجيج الاصوا
ت على اختلاف اللغات على تفنن الحاجات لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه
المسايل ولا يتبرم بالحاح الملحين والوجه الثاني ان يكون الملك عاجزا عن تد
بير رعيته ودفع اعدائه الا باعوان يعينونه فلا بد له من اعوان وانصار لذله
وعجزه والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل قال تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ
ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وقال قل ادعوا الذين زعمتم
من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك

وما لهم منهم من ظهير وكل ما في الوجود من الاسباب فهو خالقه وربه ومليكه فهو
الغني عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير اليه بخلاف الملوك المحتاجين الى ظهرائهم
وهم في الحقيقة شركاؤهم في الملك والله تعالى ليس له شريك في الملك بل لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يشفع احد عنده الا
باذنه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما فان من شفع عنده بغير اذنه فهو
شريك له في حصول المطلوب اثر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلب منه والله تعالى
لا شريك له بوجه من الوجوه وسمي الشفيع شفيعا لانه شفع غيره اي صار له شفعا
قال تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها وكل من اعان غيره في امر فقد شفعه فيه والله تعالى وتر
لا يشفعه احد بوجه من الوجوه الوجه الثالث ان يكون الملك مريد النفع
رعيته والاحسان اليهم ورحمتهم لا بمحرك يحركه من خارج فاذا خاطب الملك من
ينصحه ويعظه او من يدل عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه الملك وهمته
في قضى حوايج رعيته اما لما حصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير واما لما
يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه و
هو ارحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الاسباب انما تكون بمشيئته فما شاء الله كان
وما لم يشأ لم يكن وهو اذا اجرى نفع العباد بعضهم على بعض فجعل هذا يحسن الى هذا
ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب
هذا المحسن والداعي والشافع ارادة الاحسان والدعاء والشفاعة ولا يجوز ان يكون
في الوجود من يكرهه على خلاف مراده او يعلمه ما لم يكن يعلمه او من يرجوه الرب تعالى
او يخافه قال صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني
ان شئت ولكن ليعزم المسألة فان الله لا مكره له والشفعاء الذين يشفعون عنده
لا يشفعون الا لمن ارتضى وقال ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له وهذا بخلاف
الملوك فان الشافع عندهم قد يكون له ملك وقد يكون شريكهم في الملك وقد يكون مظا
هرا لهم معاونا على ملكهم وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير اذن الملوك هم وغيرهم

والملك

والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته اليهم وتارة لخوفه منهم وتارة لجزاء احسا
نهم اليه ومكافاتهم ولانعامهم حتى انه يقبل شفاعة احبائه وبعضهم عند بعض كلها
من هذا الجنس ولا يقبل احد شفاعة احد الا لرغبة او رهبة والله تعالى لا يرجو
احدا ولا يخاف احدا ولا يحتاج الى احد بل هو الغني قال الله تعالى الا ان لله من في
السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان
يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون الى قوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني
له ما في السموات وما في الارض بين سبحانه ان من اتبع من دون الله شركاء فهو
فليس معه علم ليس معه الا ظن وخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل
غير مطابق للحق فان الخرص يتضمن معنى الكذب كقوله قتل الخراصون ومن
ظن ان ما هنا نافية فقد فسر الاية بما هو خطأ كما قد بسط في غير هذا الموضع
والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوقين
قال تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله الاية وقال تعالى عن صاحب يس ومالي لا اعبد الذ
ي فطرني واليه ترجعون ءاتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر لا
تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين وقال تعالى
فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية واخبر عن المشركين
انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال ولا يامركم ان تتخذوا الملا
ئكة والنبيين اربابا الاية وقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا الاية فاخبر ان ما يدعا من دون الله لا
يملك كشف الضر ولا تحويله وانهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون
اليه فهو سبحانه قد نفى ما يثبتونه من توسط الملائكة والانبياء الا بالشفاعة
والشفاعة هي دعاء ولا ريب ان دعاء الخلق بعضهم لبعض نافع والله قد امر بذلك
لكن الداعي الشافع ليس له ان يدعو ويشفع الا باذن الله ولو كانوا اولي قربى
الاية وقال في حق المنافقين استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان

وقف

تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم لن يغفر الله لهم نهى الله نبيه عن الاستغفار للمشركين والمنافقين واخبر انه
لن يغفر لهم كما في قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقا
ل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وقال
ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين فهو سبحانه لا يحب المعتدين في
الدعا ومن الاعتداء في الدعا ان يسال العبد ما لم يكن الرب ليفعله مثل ان يسا
له منازل الانبياء وليس منهم او المغفرة للمشركين ونحو ذلك او يساله ما فيه
معصية الله كاعانته على الكفر والفسوق والعصيان فالشفيع الذي اذن له
في الشفاعة شفاعته من الدعا الذي ليس فيه عدوان ولو سال احد من الا
نبيا لاحد دعاء لا يصلح له لم يقر عليه لانهم معصومون ان يقروا على ذنب كما
لما قال نوح رب ان ابني من اهلي قال الله يا نوح انه ليس من اهلك الايتين وكل
شافع وداع دعا الله وشفع فلا تكون شفاعته ودعاؤه الا بقضاء الله وقدره
ومشيئته وهو الذي يجيب الدعا ويقبل الشفاعة فهو الذي خلق السبب والمسبب
والدعا من جملة الاسباب التي يقدرها سبحانه وتعالى واذا كان كذلك فالالتفا
ت الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في
العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشرع بل العبد يجب ان يكو
ن توكله ودعاؤه وسواله ورغبته الى الله تعالى والله يقدر له من الاسباب من
دعاء الخلق وغيرهم ما شا والدعا مشروع ان يدعو الاعلى للادنى والادنى للاعلى
ومن ذلك طلب الدعا والشفاعة من الانبيا كما كان المسلمون يستشفعون
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقا ويطلبون منه الدعا وكذلك بعده استسقى
عمر بن الخطاب والمسلمون بالعباس عمه والناس يطلبون الشفاعة يوم
القيمة من الانبيا ومحمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الشفعاء وله شفاعات
يختص ببعضها وبعضها وان شاركه فيه غيره فله منها الاكمل لغيره ومع
هذا فقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم المؤ

ذن

وقف

ذن يوذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه
بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عبا
د الله وارجوا ان اكون ذلك العبد فمن سال الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي
يوم القيمة وقد قال لعمر بن الخطاب لما اراد ان يعتمر وودعه لا تنسانا يا
اخي من دعائك فالنبي صلى الله عليه وسلم قد طلب من امته ان يدعوا له ولكن ليس
ذلك من باب سوالهم بل امره لهم بذلك كامره لهم بسائر الطاعات التي يثابون
عليها مع انه صلى الله عليه وسلم له من الاجر مثل اجورهم في كل ما يعملونه فانه قد
صح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور
من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه
من الوزر مثل اوزار من تبعه لا ينقص ذلك من اوزارهم شيئا وهو دا
عي الامة الى كل هدى فله من اجورهم في كل ما اتبعوه فيه وكذلك اذا صلوا عليه
فان الله سبحانه يصلي على احدهم عشرا وله مثل اجورهم مع ما يستجيبه سبحانه من
دعائهم له فذلك الدعا قد اعطاهم الله اجرهم عليه وصار ما يحصل له به من النفع
نعمة من الله عليه وقد ثبت عنه في الصحيح انه قال ما من رجل يدعو لاخيه
بظهر الغيب بدعوة الا وكل الله به ملكا كلما دعا لاخيه بدعوة قال الملك
الموكل به امين ولك بمثله وفي حديث اخر اسرع الدعا اجابة دعوة الغايب
فالدعا للغير ينتفع به الداعي وان كان الداعي دون المدعو له وينتفع بالد
عا الداعي والمدعو له فمن قال لغيره ادع لي وقصد انتفاعهما جميعا بذلك
كان هو واخوه متعاونين على البر والتقوى فهو نبه المسول واشار عليه
بما ينفعهما بمنزلة من يامر غيره ببر وتقوى فيثاب المامور على فعله والامر
يثاب لكونه دعا اليه لا سيما ومن الادعية ما يومر به العبد كما قال تعالى فاستغفر
لذنبك وللمومنين والمومنات فامره بالاستغفار ثم قال ولو انهم اذ ظلموا
انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله جاؤك
فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فذكر سبحانه

استغفارهم واستغفار الرسول لهم اذ ذاك مما امر الله به الرسول حيث امره
ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ولم يامر الله مخلوقا ان يسال مخلوقا شيئا
لم يامر الله المخلوق المسؤول به بل ما امر الله العبد او استحباب فعله
هو عبادة لله وطاعة وقربة الى الله وصلاح لفاعله وحسنة فيه واذا فعل
ذلك كان من اعظم احسان الله اليه وانعامه عليه بل كل نعمة ينعم الله بها على
عبده ان هداه للايمان والايمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالسيئات
فكلما ازداد العبد عملا للخير ازداد ايمانه وهذا هو الانعام الحقيقي المذكور
في قوله صراط الذين انعمت عليهم وفي قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا بل نعم الدنيا بدون الدين هل تسمى نعمة ام لا فيه قولان مشهورا
ن للعلماء والتحقيق انها نعمة من وجه وان لم تكن نعمة تامة من وجه واما
الانعام بالدين فهو فعل ما امر الله به من واجب ومستحب فهو الخير الذي ينبغي
طلبه باتفاق المسلمين وهو النعمة المحققة عند اهل السنة اذ عندهم ان الله
لم يامر مخلوقا ان يسال مخلوقا الا ما كان مصلحة لذلك المخلوق اما واجبا
واما مستحبا ان كان قصد مصلحة المامور او مصلحته او مصلحة المامور فهذا
فهذا مثاب على ذلك وان كان مقصوده حصول مطلوبه من غير قصد
لانتفاع المامور فهذا من نفسه اتى ومثل هذا السوال لا يامر الله به
قط بل نهى عنه اذ هو سوال محض للمخلوق من غير قصد لنفعه ولا لمصلحته
والله تعالى يامرنا ان نعبده ونرغب اليه ويامرنا ان نحسن الى عباده وهذا لم
يقصد لا هذا ولا هذا فلم يقصد الرغبة الى الله ودعاءه وهو الصلاة ولا
قصد الاحسان الى المخلوق وهو الزكاة وان كان العبد قد لا ياثم بمثل
لكن فرق بين ما يومر به العبد وبين ما يوذن فيه الا ترى انه صلى الله
عليه وسلم قال في حديث السبعين الفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب
انهم الذين لا يسترقون فان كان الاسترقا جايزا وهذا قد بسطناه

في غير هذا

في غير هذا الموضع وبينا ان الاصل في سوال الخلق ان يكون محرما وانما يباح
للحاجة فان السوال للمخلوق فيه ذل الناس وهو ظلم من العبد لنفسه وفيه
اذى المسؤول وهو من جنس ظلم العباد وفيه خضوع العبد لغير الله وهو
من جنس الشرك ففيه اجناس الظلم الثلاثة الظلم المتعلق بحق الله وظلم العباد
وظلم العبد نفسه والمقصود هنا ان من اثبت وسايط بين الله وبين خلقه
كالوسايط التي بين الملوك والرعية فهو مشرك بل هذا دين المشركين عباد
الاوثان كانوا يقولون انها تماثيل الانبياء والصالحين وانها وسايل يتقر
بون بها الى الله تعالى وهو من الشرك الذي انكره الله تعالى على النصارى حيث
قال اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله الاية وقال تعالى واذا
سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا
لي وليومنوا بي الاية فليستجيبوا لي اذا دعوتهم بالامر والنهي وليومنوا بي
اني اجيب دعاءهم لي بالمسالة والتضرع وقال تعالى فاذا فرغت فانصب
والى ربك فارغب وقال واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون الا اياه وقا
ل امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الاية وقال يساله من في
السموات ومن في الارض كل يوم هو في شان وقد بين الله هذا التوحيد
في كتابه وحسم مواد الاشراك به حتى لا يخاف احد غير الله ولا يرجوا سوا
ه ولا يتوكل الا عليه قال تعالى فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا وقال انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخا
فوهم وخافوني الاية وقال الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا
الصلاة واتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله او اشد خشية وقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم
الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله وقال ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه الاية فبين ان الطاعة لله والرسول واما
الخشية والتقوى فلله وحده وقال ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله

وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله ورسوله من فضله انا الى الله راغبون فبين
ان الايتاء لله والرسول كما قال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فا
نتهوا فان الرسول هو الذي يبين ما امرنا الله به وما نهانا عنه وما اباحه
لنا واما التحسب فهو لله وحده كما قالوا حسبنا الله ولم يقولوا حسبنا الله ور
سوله ونظيره قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشو
هم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وقد كان النبي صلى الله عليه
وسلم يحقق هذا التوحيد لامته ويحسم عنهم مواد الشرك ان هذا تحقيق قولنا
لا اله الا الله فان الاله هو الذي تالهه القلوب بالمحبة والتعظيم والا
جلال والاكرام والرجا والخوف حتى قال لهم لا تقولوا ما شاء الله ثم شاء محمد
وقال الرجل قال له ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا بل ما شاء الله
وحده وقال من كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت وقال من حلف بغير الله
فقد اشرك وقال لابن عباس اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن
بالله جف القلم بما انت لاق فلو جهدت الخليقة ان تنفعك لم تنفعك الا
بشيء كتبه الله لك ولو جهدت ان تضرك لم تضرك الا بشيء كتبه الله عليك
وقال ايضا لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم وانما انا عبد
فقولوا عبد الله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبري عيدا وثنا يعبد وقال
لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا علي حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني وقال
في مرضه لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما
فعلوا قالت عايشه ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا و
هذا باب واسع ومع علم المومن ان الله رب كل شيء ومليكه فانه لا ينكر
ما خلقه من الاسباب كما جعل المطر سببا للنبات كما قال تعالى والله انزل
من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وكما جعل الشمس والقمر سببا لما خلقه
بها وكما جعل الشفاعة والدعا سببا لما يقضيه بذلك مثل صلاة المسلمين
على الجنازة فان ذلك من الاسباب التي يرحم الله بها الميت ويثيب عليها ال

المصلين

المصلين عليه لكن ينبغي ان يعرف في الاسباب ثلاثة امور احدها
ان السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بد معه من اسباب اخر ومع
هذا فلها موانع فان لم يكمل الله الاسباب ويدفع الموانع لم يحصل المقصود
وهو سبحانه ما شاء كان وان لم يشا لم يكن الناس وما شاء الناس لا يكون
الا ان يشا الله الثاني ان لا يجوز ان لا يعتقد ان الشي سبب فمن اثبت
سببا بلا علم او بخلاف الشرع كان مبطلا مثل من يظن ان النذر سبب
في دفع البلا وحصول النعماء وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن النذر وقال انه لا ياتي بخير وانما يستخرج به من البخيل الثالث
ان الاعمال الدينيه لا يجوز ان تتخذ سببا الا ان تكون مشروعة فان
العبادات مبناها على التوقيف فلا يجوز للانسان ان يشرك بالله فيد
عوا غيره وان ظن ان ذلك سبب في حصول بعض اغراضه وكذلك لا يعبد الله
بالبدع المخالفة للشريعة وان ظن ذلك فان الشياطين قد تعين الا
نسان على بعض مقاصده اذا اشرك وقد يحصل بالكفر والفسوق والعصيان
بعض اغراض الانسان فلا يحل له ذلك اذا المفسدة الحاصلة به
اعظم والرسول صلى الله عليه وسلم انما بعث بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل
المفاسد وتقليلها فما امر الله به فمصلحته راجحة وما نهى عنه فمفسدته راجحة
وهذه الجملة لها بسط طويل لا يحتمله هذا الموضع والله اعلم وقف

٤٧٦

وقال رحمه الله تعالى في الكلام

على زيارة القبور الزيارة تنقسم قسمين زيارة شرعية وزيارة بدعية
فالزيارة الشرعية السلام على الميت والدعاء له بمنزلة الصلاة على جنا
زته كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم اصحابه اذا زاروا القبور
ان يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المومنين والمسلمين وانا ان شاء الله
بكم لاحقون نسال الله لنا ولكم العافيه اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا تفتنا بعدهم

واغفر لنا ولهم وهذا الدعا يروى بعدة الفاظ كما رويت الفاظ التشهد و
غيره وهذه الزيارة هي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها واما الزيا
رة البدعية فمن جنس زيارة القبور اليهود والنصارى واهل البدع
الذين يتخذون قبور الانبيا والصالحين مساجد وقد استفاض عن
النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب الصحاح انه قال عند موته لعن الله اليهود
والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عا
يشة ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وثبت عنه في
الصحيح انه قال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد فلاني انها
كم عن ذلك فالزيارة البدعية مثل قصد قبر بعض الانبيا والصالحين للصلاة
عنده او الدعا عنده او به او طلب الحوايج منه او من الله عند قبره او الاستغا
ثة به او الاقسام على الله تعالى به ونحو ذلك هو من البدع التي لم يفعلها احد
من الصحابة والتابعين لهم باحسان ولا سن ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا احد من الخلفاء الراشدين بل قد نهى عن ذلك ائمة المسلمين والحديث
الذي يرويه بعض الناس اذا سالتم الله فاسئلوه بجاهي من المكذوبات
التي لم يروها احد من علما المسلمين ولا هو في شي من كتب الحديث بمنزلة
ما يروونه من قوله لو احسن احدكم ظنه بحجر لنفعه الله فان هذا ايضا من المكذوب
وقد نص غير واحد من العلما انه لا يقسم على الله بمخلوق لا نبي ولا غيره فمن ذلك
ما ذكره ابو الحسين القدوري في كتاب شرح الكرخي عن بشر ابن الوليد قال
سمعت ابا الوليد قال سمعت ابا يوسف قال قال ابو حنيفة رضي الله عنه
لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به واكره ان يقول بمعاقد العز من عرشك او بحق
خلقك وهو قول ابي يوسف وقال ابو يوسف بمعاقد العز من عرشك هو الله
فلا اكره هذا واكره بحق فلان او بحق انبيائك ورسلك وبحق البيت والمشعر
الحرام قال القدوري شارح الكتاب المسئلة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للخلق
على الخالق فلا يجوز يعني وفاقا قلت واما الاستشفاع الى الله تعالى بدعائه هو

طلب

طلب الشفاعة منه والتوسل الى الله بدعائه وشفاعته وبالايمان به ومحبته
وطاعته والتوجه الى الله تعالى بذلك فهو مشروع باتفاق المسلمين كما جاء
ت بذلك الاحاديث الصحيحة وقد ثبت في الصحيح عن ابي حميد الساعدي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا الفين احدكم يوم القيمة يقو
ل يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك وفي الصحيح عنه
انه قال يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيئا يا عباس عم رسول الله لا اغني
عنك من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا اغني عنك من الله شيئا سلوني من مالي
ما شئتم فبين صلى الله عليه وسلم ما هو موافق لكتاب الله من انه ليس عليه الا
البلاغ المبين واما الجزا بالثواب والعقاب فهو الى الله تعالى وهو صلى الله
عليه وسلم قد بلغ الرسالة واشهد الله على امته انه بلغهم كما جعل في حجة الوداع
يقول الا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع اصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول
اللهم اشهد رواه مسلم واما اجابة الداعي وتفريج الكربات وقضا الحاجا
ت فهذا لله وحده لا يشركه فيه احد ولهذا فرق سبحانه وتعالى في كتابه بين
ما فيه حق للرسول وبين ما هو حق لله وحده كما في قوله ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفايزون فبين سبحانه ما يستحقه الرسول من
الطاعة واما الخشية والتقوى فجعل ذلك لله وحده وكذلك قوله ولو انهم رضوا
ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيوتينا الله ورسوله من فضله انا الى الله
راغبون فجعل الايتا لله والرسول كما في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا واما التوكل والرغبة فلله وحده كما في قوله وقالوا حسبنا الله ولم
يقل ورسوله وقال انا الى الله راغبون ولم يقل الى رسوله وذلك موافق لقوله
واذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فالعبادة والخشية والتوكل والدعا
والرجا والخوف لله وحده لا يشركه فيه احد واما الطاعة والمحبة والارضا
فعلينا ان نطيع الله ورسوله ونحب الله ورسوله ونرضي الله ورسوله لان طاعته
طاعة لله وارضاه ارضا لله وحبه من حب الله وكثير من اهل الضلال من الكفار

واهل البدع بدلوا الدين فان الله جعل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم
وسايط في تبليغ امره ونهيه ووعده ووعيده فليس لاحد طريق الى الله الا
بمتابعة الرسل بفعل ما امروا وترك ما حذروا ومن جعل له طريقا غير متابعة الرسول
للخاصة والعامة فهو كافر بالله ورسله مثل ما زعم ان من خواص الاولياء او العلماء
او الفلاسفة او اهل الكلام من له طريق الى الله غير متابعة رسوله ويذكرون في
ذلك من الاحاديث المفتراة ما هو من اعظم الكفر كقول بعضهم انهم صحبوه ليلة
المعراج فاخبروه بالسر الذي ناجاه الله به وان الله اعلمهم بذلك بدون اعلام
الرسول وقول بعضهم انهم قاتلوه في بعض الغزوات مع الكفار وقالوا من كان الله
معه وامثال ذلك من الامور التي هي من اعظم الكفر والكذب ومثل احتجاج بعضهم
بقصة الخضر مع موسى عليه السلام على ان من الاولياء من يستغني عن محمد صلى الله
عليه وسلم كما استغنى الخضر عن موسى ومثل قول بعضهم ان خاتم الاولياء له الى الله
تعالى طريق يستغني به عن خاتم الانبياء وامثال هذه الامور التي كثرت في
المنتسبين الى الزهد والفقر والتصوف والكلام والتفلسف وكفر هؤ
لاء قد يكون من جنس كفر اليهود والنصارى وقد يكون اعظم وقد يكون اخف
بحسب احوالهم وهو سبحانه لم يجعل احدا من الانبياء والمؤمنين واسطة في
شيء من الربوبية والالهية مثل ما ينفرد به من الخلق والرزق واجابة الدعا
والنصر على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات بل غاية ما يكون العبد
سببا مثل ان يدعو او يشفع والله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه و
قوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى وقال قل ادعوا الذ
ين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا والاية بعدها قال
طائفة من السلف كان اقوام يدعون الملائكة والانبياء فنهاهم الله عن
ذلك وقد قال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة الى قوله
ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون

فبين

فبين سبحانه ان اتخاذ الملائكة والنبيين اربابا كفر ولهذا كان الناس في الشفاعة
على ثلاثة اقسام فالمشركون اثبتوا الشفاعة التي هي شرك كشفاعة المخلوق عند
المخلوق كما يشفع عند الملوك خواصهم لحاجة الملوك الى ذلك فيسالونهم بغير اذنهم
ويجيب الملوك سؤالهم لحاجتهم اليهم فالذين اثبتوا مثل هذه الشفاعة عند الله
مشركون كفار لان الله تعالى لا يشفع عنده احد الا باذنه ولا يحتاج الى احد من
خلقه بل من رحمته واحسانه اجابة دعاء الشافعين وهو سبحانه ارحم بعبا
ده من الوالدة بولدها ولهذا قال تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع وقال ام
اتخذوا من دون الله شفعاء قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل
لله الشفاعة جميعا وقال عن صاحب اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون واما الخوارج والمعتزلة فانهم
انكروا شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم في اهل الكبائر من امته وهؤلاء
مبتدعة ضلال مخالفون للسنة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولاجماع
خير القرون والقسم الثالث هم اهل السنة والجماعة وهم سلف
الامة وائمتها ومن اتبعهم باحسان اثبتوا ما اثبته الله في كتابه وسنة رسو
له صلى الله عليه وسلم ونفوا ما نفاه الله والشفاعة التي اثبتوها التي جاءت
بها الاحاديث كشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة اذا جاء النا
س الى ادم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم اتوه قال فاذهب الى ربي فا
ذا رايت ربي خررت له ساجدا فاحمد ربي بمحامد يفتحها علي لا احسنها الان
فيقول اي محمد ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع فهو ياتي ربه سبحانه فيبدا
بالسجود والثناء عليه فاذا اذن له في الشفاعة شفع بابي هو وامي صلى الله عليه وسلم
واما الشفاعة التي نفاها القران كما عليه المشركون والنصارى ومن ضاهاهم
من هذه الامة فينفيها اهل العلم والايمان مثل انهم يطلبون من الانبياء والصا
لحين الغائبين والميتين قضاء حوائجهم ويقولون انهم اذا ارادوا ذلك قضوها
ويقولون انهم عند الله تعالى كخواص الملوك عند الملوك يشفعون بغير اذن الملوك

ولهم على الملوك ادلال يقضون به حوائجهم فيجعلونهم لله بمنزلة شركاء الملك
ومنزلة اولاده والله تعالى قد نزه نفسه عن ذلك كما قال تعالى وقل الحمد لله الذي
لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الاية ولهذا
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم
وانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وهذه المسئلة مبسوطة في غير هذا
الموضع والزيارة المبتدعة هي من اسباب الشرك بالله ودعاء خلقه و
احداث دين لم يأذن الله به والزيارة الشرعية هي من جنس الاحسان
الى الميت بالدعاء له كالاحسان اليه بالصلاة عليه وهي من العبادات التي
ينفع الله بها الداعي والمدعو له كالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه و
سلم وطلب الوسيلة والدعاء لسائر المومنين احياهم واموتهم

فصل واما الحديث المذكور في زيارة قبر النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من زار قبري وجبت له شفاعتي فهو ضعيف وليس في زيارة
قبر النبي صلى الله عليه وسلم حديث صحيح ولا حسن ولا روى اهل السنن المعروفة
كسنن ابي داود والنسائي والترمذي وابن ماجة ولا اهل المسانيد المعروفة
كمسند احمد وغيره ولا اهل المصنفات المعروفة كموطا مالك وغيره في ذلك
شيئا بل عامة ما يروى احاديث مكذوبة موضوعة كما يروى عنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من زارني وزار ابي ابراهيم في عام واحد ضمنت له على الله
الجنة وهذا الحديث موضوع مكذوب باتفاق اهل العلم وكذلك ما يروى من
قوله من زارني بعد مماتي فكانما زارني في حياتي ومن زارني بعد مماتي
ضمنت له على الله الجنة ليس لشيء من ذلك اصل وان كان قد روى بعض ذلك
الدارقطني والبزار في مسنده فمدار ذلك على عبد الله بن عمر العمري او من
هو اضعف منه ممن لا يجوز ان يثبت بروايته حكم شرعي وانما اعتمد الا
ئمة في ذلك على ما رواه ابو داود في السنن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام

السلام وكما في سنن النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وكل بقبري ملا
ئكة يبلغوني عن امتي السلام فالصلاة والسلام عليه مما امر الله به ورسوله
فلهذا استحب ذلك العلماء ومما يبين ذلك ان مالكا رضي الله عنه كره ان يقول
الرجل زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومالك قد ادرك التابعين بالمدينة
وهم اعلم الناس بهذه المسئلة فدل ذلك على انه لم يكن معروفا عندهم هذا
الفاظ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كره مالك وغيره من الائمة ان
يقف الرجل عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم مستقبل القبلة يدعو بل كره مالك وغيره
ان [illegible]م للدعاء لنفسه هناك وذكر ان هذا لم يكن من عمل الصحابة والتا
بعين وانه لا يصلح اخر هذه الامة الا ما اصلح اولها وقد ذكر في اسباب
كراهته لان يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا اللفظ قد صار
كثير من الناس يريد الزيارة البدعية وهي قصد الميت لسواله ودعائه والر
غبة اليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس فهم يعنون
بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع باتفاق الائمة فكره مالك ان يتكلم
بلفظ مجمل يدل على معنى فاسد بخلاف الصلاة والسلام عليه فان ذلك
مما امر الله به اما لفظ الزيارة في عموم القبور فقد لا يفهم منها مثل هذا الا
ترى الى قوله فزوروا القبور فانها تذكر الاخرة مع زيارته لقبر امه فان هذا
يتناول زيارة قبور الكفار فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه
وسواله والاستغاثة به ونحو ذلك مما يفعله اهل الشرك والبدع بخلاف
ما اذا كان المزور معظما في الدين كالانبياء فانه كثيرا ما يعني بزيارتهم
هذه الزيارة البدعية والشركية فلهذا كره مالك ذلك في مثل هذا وان لم
يكره ذلك في موضع اخر ليس فيه هذه المفسدة فلا يحفظ عن احد انه روى با
سناد ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم بل ولا عن اصحابه شيئا في زيارة
قبره صلى الله عليه وسلم تسليما بل الثابت عنه في الصحاح ما يناقض هذا المعنى الفاسد
الذي يريده الجهال بهذا اللفظ لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا قبري عيدا وصلوا

وصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وقوله صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود و
النصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد يحذر ما فعلوا قالت عائشة
ولولا ذلك لابرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجدا وقوله صلى الله عليه وسلم ان
من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مسا
جدا فاني انهاكم عن ذلك واشباه هذه الاحاديث التي في الصحاح و
السنن والكتب المعتمدة فكيف يعدل من له علم وايمان عن موجب هذه
النصوص الثابتة باتفاق اهل العلم الى متناقض معناها من الاحاديث
التي لم يثبت منها شيئا احد من اهل العلم والله سبحانه وتعالى اعلم وصلى
الله على محمد واله وصحبه وسلم

٤٧٧ **مسألة** هل الميت يسمع كلام زا
ئره ويرى شخصه وهل تعاد روحه الى جسده في ذلك الوقت ام تكون موفرة
على قبره في ذلك الوقت وغيره وهل تصل اليه القراءة والصدقة من مخلفيه و
غيرهم سواء كان المال الموروث عنه او غيره وهل تجتمع روحه مع ارواح
اهله واقاربه الذين ماتوا قبله سواء كان مدفونا قريبا منهم او بعيدا وهل
تنتقل روحه الى جسده في ذلك الوقت وبدنه اذا مات في بلاد بعيدة ودفن
بها الى الارض التي ولد بها وهل يتأذى ببكاء اهله عليه والمسؤول من اهل
العلم رضي الله عنهم الجواب عن هذه الفصول فصلا فصلا جوابا واضحا
مستوعبا لما ورد فيه من الكتاب والسنة وما نقل فيه عن الصحابة رضي الله عنهم
وشرح مذاهب الائمة والعلماء اصحاب المذاهب واختلافهم وما الراجح من
اقوالهم ماجورين ان شاء الله تعالى

الجواب الحمد لله رب
العالمين نعم يسمع الميت في الجملة كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه مدبرين وثبت في الصحيحين
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ترك قتلى بدر ثلاثا ثم اتاهم فقام
عليهم فناداهم فقال يا ابا جهل ابن هشام يا امية ابن خلف يا عتبة ابن ربيعة
يا شيبة ابن ربيعة اليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني قد وجدت

ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسو
ل الله كيف يسمعون وانى يجيبون وقد جيفوا فقال والذي نفسي بيده ما
انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يقدرون ان يجيبوا ثم امر بهم فسحبوا في
قليب بدر وكذلك في الصحيحين عن عبد الله ابن عمر ان النبي صلى الله عليه و
سلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وقال انهم
ليسمعون الان ما اقول وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه انه كان يا
مر بالسلام على اهل القبور ويقول قولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤ
منين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ويرحم الله المستقدمين منكم
ومنا والمستاخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمنا اجرهم ولا
تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم فهذا خطاب لهم وانما يخاطب من يسمع
وروى ابن عبد البر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل
يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد
عليه السلام وفي السنن عنه انه قال اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة
وليلة الجمعة فان صلاتكم معروضة علي فقالوا يا رسول الله وكيف
تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني صرت رميما فقال ان الله تعالى حرم
على الارض ان تاكل لحوم الانبياء وفي السنن انه قال ان الله وكل بقبري
ملائكة يبلغوني عن امتي السلام فهذه النصوص وامثالها
تبين ان الميت يسمع في الجملة ولا يجب ان يكون السمع له دائما بل قد يسمع
في حال دون حال كما يعرض للحي فانه قد يسمع احيانا خطاب من يخاطبه
وقد لا يسمع لعارض يعرض له وهذا السمع ادراك ليس يترتب عليه جزا
ولا هو السمع المنفي بقوله انك لا تسمع الموتى فان المراد بذلك سمع القبول
والامتثال فان الله جعل الكافر كالميت الذي لا يستجيب لمن دعاه وكالبهائم التي
تسمع الصوت ولا تفقه المعنى فالميت وان سمع الكلام وفقه المعنى فانه لا
يمكنه اجابة الداعي ولا امتثال ما امر به ونهى عنه فلا ينتفع بالامر والنهي

وان سمع الخطاب ومنهم المعنى كما قال تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو
اسمعهم الاية واما رؤية الميت فقد روي في ذلك اثار عامتها عن عا
ئشة رضي الله عنها وغيرها **فصل** واما القايل
هل تعاد روحه الى بدنه ذلك الوقت ام تكون ترفرف على قبره ذلك الوقت
وغيره فان روحه تعاد الى البدن ذلك الوقت كما جاء في الحديث وتعاد
ايضا في غير ذلك الوقت وارواح المومنين في الجنة كما في الحديث الذي
رواه مسلم ومالك والشافعي وغيرهم ان نسمة المومن طاير تعلق في شجر الجنة
حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه وفي لفظ ثم تاوي الى قناديل معلقة
با فتتصل بالبدن متى شاء الله وذكر في المخط بمنزلة نزول الملك
وظهور الشعاع في الارض وانتباه النايم وهذا جاء في عدة اثار
ان الارواح تكون على افنية القبور وقال مجاهد ان الارواح تكون
على افنية القبور سبعة ايام من يوم يدفن الميت لا تفارق فهذا يكون
احيانا قال مالك بن انس بلغني ان الارواح مرسلة تذهب حيث شا
ت والله اعلم **فصل** واما وصول القراءة والصدقة وغير
ها من اعمال البر فلا نزاع بين علماء السنة والجماعة في وصول ثواب
العبادات المالية كالصدقة والعتق كما يصل اليه ايضا الدعا والاستغفا
ر والصلاة عليه صلاة الجنازة والدعا عند قبره وتنازعوا في وصول
الاعمال البدنية كالصوم والصلاة والقراءة والصواب ان الجميع يصل
اليه فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات و
عليه صيام صام عنه وليه وثبت ايضا في الصحيح انه امر امراة ماتت
امها وعليها صوم ان تصوم عن امها وفي المسند عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعمرو بن العاص لو ان اباك اسلم فتصدقت او اعتقت او صمت
عنه نفعه ذلك وهذا مذهب احمد وابي حنيفة وطايفة من اصحاب مالك
والشافعي واما احتجاج بعضهم بقوله وان ليس للانسان الا ما

سعى فيقال له قد ثبت بالسنة المتواترة واجماع الامة انه يصلى عليه ويدعا
له ويستغفر له وهذا من سعي غيره وكذلك قد ثبت ما سلموه من انه ينتفع بالصدقة
عنه والعتق وهو من سعي غيره وما كان من جوابهم من موارد النزاع فهو جوا
ب النافين عن مواقع النزاع وللناس في ذلك اجوبة متعددة لكن تحقيق ذ
لك ان الله تعالى لم يقل ان الانسان لا ينتفع الا بسعي نفسه وانما قال ليس له الا ما
سعى فهو لا يملك الا سعيه ولا يستحق غير ذلك واما سعي غيره فهو له كما ان الا
نسان لا يملك الا مال نفسه ونفع نفسه ومال غيره ونفع غيره هو كذلك
للغير لكن اذا تبرع له الغير بذلك جاز وهكذا هذا اذا تبرع له الغير بسعيه
نفعه الله بذلك كما ينتفع بدعائه له والصدقة عنه وهو ينتفع بكل ما يصل اليه
من كل مسلم سواء كان من اقاربه وغيرهم كما ينتفع بصلاة المسلمين عليه ودعا
يهم له عند قبره **فصل** واما قوله هل تجتمع روحه مع ارو
اح اهله واقاربه ففي الحديث عن ابي ايوب الانصاري وغيره من السلف ورو
اه ابو حاتم في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت اذا عرج بروحه تلقته
الارواح يسالونه عن الاحياء فيقول بعضهم لبعض دعوه حتى يستريح فـ
يقولون له ما فعل فلان فيقول فعل كذا فيقولون ما فعل فلان فيقول الم يقد
م عليكم فيقولون ذهب به الى امه الهاوية ولما كانت اعمال الاحياء
تعرض على الموتى كان ابو الدرداء يقول اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به عند
عبد الله بن رواحه فهذا اجتماعهم عند قدومه يسالونه ويجيبهم واما استقرا
رهم فبحسب منازلهم عند الله فمن كان من المقربين كانت منزلته اعلى من منزلة
من كان من اصحاب اليمين لكن الاعلى ينزل الى الاسفل والاسفل لا يصعد الى
الاعلى فيجتمعون اذا شاء الله مع تفاوت منازلهم كما يجتمعون في الدنيا وهم يتزا
ورون وسواء كانت المدائن متباعدة في الدنيا او متقاربة قد تجتمع الارواح
مع تباعد المدائن وقد تفترق مع تقارب المدائن يدفن المومن عند الكافر
وروح هذا في الجنة وروح هذا في النار والرجلان يكونان جالسين

وقف

ادنا يمشي في موضع واحد وقلب هذا ينعم وقلب هذا يعذب وليس بين الر
حين اتصال فالارواح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود
مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والبدن لا ينقل الى مو
ضع الولادة بل قد جاء ان الميت يذر من تراب حفرته ومثل هذا لا يحتج به ولا
يحتج به بل اجود منه حديث اخر انه ما من ميت يموت في غير بلده الا قيس له من
مسقط راسه الى منقطع اثره في الجنة والانسان يبعث من حيث مات وبدنه
في قبره مشاهد فلا تدفع المشاهد بظنون لا حقيقة لها بل هي محال في العقل و
النقل **فصل** واما قول السايل هل يؤذى البكا عليه فهذه
المسئلة فيها نزاع بين السلف والخلف والعلماء والصواب انه يتاذى
بالبكاء عليه كما نطقت به الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الميت يعذب ببكاء اهله عليه وفي الحديث الصحيح ان عبد الله بن رواحة
لما اغمي عليه جعلت اخته تندب وتقول واعضداه واناصراه فلما افاق
قال ما قلت لي شيئا الا قيل لي كذا انت وقد انكر ذلك طوايف من السلف
والخلف واعتقدوا ان ذلك من باب تعذيب الانسان بذنب غيره فهو مخا
لف لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم تنوعت طرقهم في تلك الاحاديث
الصحيحة فمنهم من غلط الرواة لها كعمر بن الخطاب وغيره وهذه طريقة عا
يشة والشافعي وغيرهما ومنهم من حمل ذلك على ما اذا اوصى به فيعذب على
ايصائه وهو قول طائفة كالمزني وغيره ومنهم من حمل ذلك على ما اذا
كانت عادتهم فيعذب على ترك النهي عن المنكر وهو اختيار طائفة منهم جدي
ابو البركات وكل هذه الاقوال ضعيفة جدا وهذه الاحاديث الصحيحة
الصريحة التي يرويها مثل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وابي موسى الاشعري
وغيرهم لا ترد بمثل هذا وعايشة ام المومنين رضي الله عنها لها مثل هذا نظا
ير ترد الحديث بنوع من التاويل والاجتهاد لاعتقادها بطلان
معناه ولا يكون الامر كذلك ومن تدبر هذا الباب وجد هذا الحديث الصحيح

الصحيح

وقف

الصحيح الذي يرويه الثقة لا يرده احد مثل هذا الا كان مخطيا وعايشة رضي
الله عنها روت عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظين وهي الصادقة فيما تنقله فروت عن
النبي صلى الله عليه وسلم قوله ان الله ليزيد الكافر عذابا ببكاء اهله عليه وهذا موافق
لحديث عمر فانه اذا جاز ان يزيده عذابا ببكاء اهله جاز ان يعذب غيره ابتداء
ببكاء اهله ولهذا رد الشافعي في مختلف الحديث هذا الحديث نظرا الى المعنى وقا
ل الاشبه رواية الاخرى انهم يبكون عليه وانه ليعذب في قبره والذي اقروا
هذا الحديث على مقتضاه ظن بعضهم ان هذا من باب عقوبة الانسان بذنب غيره
تجوز وان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد واعتقد هؤلاء ان الله يعا
قب الانسان بذنب غيره فجوزوا ان يدخل اولاد الكفار النار بذنوب ابا
يهم وهذا وان كان قد قاله طوايف الى السنة فالذي دل عليه الكتاب
والسنة ان الله لا يدخل النار الا من عصاه كما قال تعالى لاملان جهنم منك وممن
تبعك منهم اجمعين فلا بد ان يملاها من اتباع ابليس واذا امتلات منهم لم
يكن لغيرهم فيها موضع فمن لم يتبع ابليس لم يدخل النار واطفال الكفار
اصح الاقوال فيهم الله اعلم بما كانوا عاملين كما اجاب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح وطايفة من اهل الحديث وغيرهم قالوا انهم كلهم في النار وذ
كر انه من نصوص احمد وهو غلط على احمد جزموا بانهم كلهم في الجنة واختار
ذلك ابو الفرج بن الجوزي وغيره واحتجوا بحديث فيه رؤيا النبي صلى الله
عليه وسلم لما راى ابراهيم الخليل وعنده اطفال المومنين قيل يا رسول الله
واطفال المشركين قال واطفال المشركين والصواب ان يقال
الله اعلم بما كانوا عاملين ولا نحكم لمعين منهم بجنة ولا نار وقد جاء في عدة
احاديث انهم يوم القيمة في عرصات القيمة يومرون وينهون فمن اطا
ع دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهذا هو الذي ذكره ابو الحسن الاشعري
عن اهل السنة والجماعة والتكليف انما ينقطع بدخول دار الجزا وهي الجنة
والنار واما عرصات القيمة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال

لاحدهم من ربك وما دينك ومن نبيك وقال تعالى يوم يكشف عن ساق و
يدعون الى السجود فلا يستطيعون الاية وقد ثبت في الصحاح من غير وجه
عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث تجلي الله لعباده في الموقف اذا قيل ليتبع كل
قوم ما كانوا يعبدون فيتبع المشركين آلهتهم ويبقى المومنون فيتجلى لهم الرب
في غير الصورة التي يعرفون فينكرونه ثم يتجلى لهم في الصورة التي يعرفونه فيسجد له
المومنون وتبقى ظهور المنافقين كقرون البقر يريدون السجود فلا يستطيعون
يستطيعون وذكر قوله يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا
يستطيعون الاية والكلام على هذه الامور مبسوطة في غير هذا الموضع
والمقصود هنا ان الله تعالى لا يعاقب احدا في الآخرة الا بذنبه وانه
لا تزر وازرة وزر اخرى وقوله ان الميت يعذب ببكا اهله عليه ليس فيه
ان النايح لا يعاقب بل النايحة تعاقب على النياحة كما في الحديث الصحيح
ان النايحة اذا لم تتب قبل موتها فانها تلبس يوم القيمة درعا من جرب
وسربالا من قطران فلا يحمل عمن ينوح وزره احد واما تعذيب الميت
فهو لم يقل ان الميت يعاقب ببكاء اهله عليه بل قال يعذب
والعذاب اعم من العقاب فان العذاب هو الالم وليس كل من تالم بسبب
كان ذلك عقابا له على ذلك الامر فانه صلى الله عليه وسلم قال السفر قطعة
من العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه فسمى السفر عذابا وليس هو عقاب
على ذنب والانسان يعذب بالامور المكروهة التي يشعر بها مثل الا
صوات الهايلة والارواح الخبيثة والصور القبيحة فهو يتعذب بسماع
هذا وبشم هذا ولم يكن ذلك عملا له عوقب عليه فكيف ينكر ان يتعذب
الميت بالنياحة وان لم تكن النياحة عملا له يعاقب عليه والانسان
في قبره يعذب بكلام بعض الناس ويتالم برؤية بعضهم وبسماع كلامه
ولهذا افتى القاضي ابو يعلى بان الموتى اذا عمل عندهم بالمعاصي فانهم يتا
لمون بهذا كما جاءت بذلك الاثار فتعذيبهم بعمل المعاصي عند قبورهم

كتعذيبهم

كتعذيبهم بنياحة من ينوح عليهم ثم النياحة سبب العذاب وقد يندفع حكم
السبب بما يعارضه فقد يكون في الميت من قوة الكرامة ما يدفع عنه ذلك
كما قد يكون في بعض الناس من القوة ما يدفع ضرر الاصوات الهايلة والارو
اح الخبيثة والصور القبيحة واحاديث الوعيد يذكر فيها السبب وقد يتخلف
موجبه لموانع تدفع ذلك عنه اما بتوبة مقبولة واما بحسنات ماحية و
اما بمصايب مكفرة واما بشفاعة شفيع مطاع واما بفضل الله ورحمته
ومغفرته فانه لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وما يلحق المومن
في الدنيا والبرزخ والقيمة من الالم التي هي عذاب فان ذلك يكفر الله به
خطاياه كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما يصيب
المومن من وصب ولا نصب ولا هم ولا حزن ولا اذى حتى الشوكة
يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي المسند لما نزلت هذه الاية من
يعمل سوءا يجز به قال ابو بكر الصديق يا رسول الله جاءت قاصمة الظهر وا
ينا لم يعمل سوءا فقال يا ابا بكر الست تنصب الست تحزن الست يصيبك
الاذى فان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب كما قال تعالى طبتم فادخلوها
خالدين وفي الحديث الصحيح انهم اذا عبروا على الصراط وقفوا على قنطرة
بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض فاذا هذبوا ونقوا اذن لهم
في دخول الجنة والكلام في هذه المسئلة مبسوط في غير هذا الجواب وا
والله اعلم بالصواب وما ذكرنا في ان الموتى يسمعون الخطاب ويصل
اليهم الثواب ويعذبون بالنياحة بل وما لم يسال عنه السايل من عقابهم
في قبورهم وغير ذلك فقد ينكشف لكثير من ابناء زماننا يقظة ومناما
ويعلمون ذلك ويتحققونه وعندنا من ذلك امور كثيرة لكن الجواب
في المسايل العلمية يعتمد فيه على ما جاء به الكتاب والسنة فانه يجب على
الخلق التصديق به وما كشف للانسان من ذلك واخبر به من هو عنده فهذا
ينتفع به من علمه ويكون ذلك مما يزيده ايمانا وتصديقا بما جاءت به النصوص

ولكن لا يجب على جميع الخلق الايمان بغير ما جاءت به الانبيا قال الله تعالى او
يجب التصديق بما جاءت به النصوص ولكن لا يجب على جميع الخلق الا كما
في قوله قولوا امنا بالله واليوم الاخر والملائكة والنبيين الاية وقد ثبت
في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قد كان في الامم قبلكم محدثو
ن فان يكن في امتي احد فعمر فالمحدث الملهم المكاشف من هذه الامة يجب
عليه ان يزن ذلك بالكتاب والسنة فانه وافق صدق ما ورد عليه وان خالف
ذلك لم يلتفت اليه كما كان يجب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو سيد المحد
ثين اذا القي في قلبه شيء وكان مخالف للسنة لم يقبل منه فانه ليس هو معصوما
وانما العصمة للنبوة ولهذا كان الصديق افضل من عمر فان الصديق
لا يتلقى في قلبه بل من مشكاة النبوة هي معصومة والمحدث يتلقى تارة
عن قلبه وتارة عن النبوة فهو معصوم يجب اتباعه وما الهم في قلبه فانه
وافق ما جاءت به النبوة فهو حق وان خالف ذلك فهو باطل فلهذا لا يعتمد
بل العلم والايمان في مثل مسائل العلم والدين الا على نصوص الكتاب والسنة واجما
ع الامة وان كان عندهم في بعض ذلك شواهد وبينات مما شاهدوه ووجد
وه وما عقلوه وعلموه فتلك مما ينتفعون هم في انفسهم واما حجة الله تعالى على عبا
ده فهو منهم رسله والاهتداء للمسائل فهما من الدلائل وفي اعتبارات العقلية والشوا
هد بحسبه ما ينتفع به من وجد ذلك وقياس بني ادم وكشفهم تابع لما جاءت
به الرسل عن الله فالحق في ذلك موافق لما جاءت به الرسل عن الله تعالى لا مخالف مع كونه
حقا فلا يعضد الخلاف بين الناس ولكن يجب على من لم يحصل له ذلك التصديق به
كما يجب التصديق بما عرف انه معصوم وهو كلام الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم
ولكن من حصل له في مثل هذه الامور بصيرة او قياس او برهان كان ذلك
نور على نور قال بعض السلف بصيرة المومن تنطق بالحكمة وان لم يسمع فيها الاثر
فاذا جاء الاثر كان نور على نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قال
الله تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل

معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم والله اعلم

مسئلة ٤٧٨ في قوله صلى الله عليه وسلم لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد
الا ذنبه فما معنى لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن عبد الا ذنبه

الجواب الحمد لله هذا الكلام يوثر عن امير المومنين علي ابن ابي طا
لب رضي الله عنه وهو من احسن الكلام وابلغه واتمه فان الرجا يكون للخير و
الخوف يكون من الشر والعبد انما يصيبه الشر بذنوبه قال الله تعالى وان تصبهم
سيئة بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون وقال اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة الاية فان كثيرا من الناس يظن ان المراد بالحسنات والسيئات
من هذه الاية الطاعات والمعاصي ثم المثبتة للقدر يحتجون بقوله كل من عند الله
ويعارضهم قوله ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك
ونفاة القدر يحتجون بهذه الثانية مع غلطهم في ذلك في مذهبهم ان العبد يخلق
جميع افعاله ويعارضهم قوله كل من عند الله وانما غلط كلا الفريقين لما تقدم من
ظنهم ان الحسنات والسيئات هي الطاعات والمعاصي وانما الحسنات والسيئات
في هذه الاية النعم والمصائب كما في قوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقوله
فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى الاية ونحو ذلك
وهذا كتفسير هذه الاية ذم الله بها المنافقين الذين ينكلون عن ما امر الله به من
الجهاد وغيره فاذا اتاهم رزق ونصر وعافية قالوا هذه من عند الله واذا اتاهم فقر وذ
ل ومرض قالوا هذه من عندك يا محمد بسبب الدين الذي امرتنا به كما قال قوم
فرعون لموسى وذكر الله عنهم بقوله وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وكما قال
الكفار للرسل انا تطيرنا بكم والكفار والمنافقون اذا اصابتهم المصايب بذنوبهم
تطيروا بالمومنين فبين الله سبحانه ان الحسنة من الله ينعم بها عليهم وان السيئة
انما تصيبهم بذنوبهم ولهذا قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فاخبر

لا يعذب مستغفر لأن الاستغفار يمحو الذنب الذي هو سبب العقاب
فيدفع العذاب كما في سنن أبي داود وابن ماجه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال
من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب وقال وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متا
عا حسنا ومن عمل بعد ذلك خيرا زاده الله من فضله وفي الحديث يقول
الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغ
فار فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون
لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى فأخذناهم بالبأ
ساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي هلا إذ
جاءهم بأسنا تضرعوا فخصهم بالتضرع عند مجيء البأس على التضرع وقال تعالى
ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون قال عمر بن عبد
العزيز ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع بلاء إلا بتوبة ولهذا قال تعالى الذ
ين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم إلى قوله وخافون إن
كنتم مؤمنين فنهى المؤمنين عن خوف أولياء الشيطان وأمرهم بخوفه و
خوفه يوجب فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه والاستغفار من الذنوب و
حينئذ يندفع عنه البلاء وينصر على الأعداء فلهذا قال علي رضي الله
عنه لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن عبد إلا ذنبه فانه وان سلط عليه
مخلوق فما سلط عليه إلا بذنوبه فليخف الله وليتب من ذنوبه التي نالته
بها كما في الأثر يقول الله تعالى أنا مالك الملوك ونواصيهم بيدي فمن أطا
عني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشتغلوا بسب
الملوك وأطيعوني أعطف قلوبهم عليكم وأما قوله لا يرجو
عبد إلا ربه فإن الراجي يطلب حصول الخير ودفع الشر ولا يأتي بالحسنا
ت إلا الله ولا يذهب السيئات إلا الله وإن يمسسك الله بضر فلا كا
شف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ما يفتح الله للناس من رحمة

فلا ممسك لها

فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده الآية والرجاء مقرون
بالتوكل فإن المتوكل يطلب ما رجاه من حصول المنفعة ودفع المضرة
والتوكل لا يجوز إلا على الله كما قال وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين و
قال إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
الآية وقال تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله من فضله وقالوا حسبنا
الآية وقال الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزا
دهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل أي كافينا في دفع البلاء وأولئك أمرو
ا أن يقولوا حسبنا الله في جلب النعماء فهو سبحانه كافي عبده في إزالة الشر وإ
نالة الخير أليس الله بكاف عبده ومن توكل على غير الله ورجاه مخذول من جهته
وحرم مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا
الآية وهذه الآية واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون
بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه
الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذ
موما مخذولا وقال الخليل فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فمن عمل لغير الله
ورجا أن ينتفع بما عمل له كانت صفقته خاسرة قال الله تعالى والذين كفروا
بربهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء الآية وقال والذين كفروا
أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف الآية وقال وقدمنا إلى ما عملوا
من عمل فجعلناه هباء منثورا وقال كل شيء هالك إلا وجهه قيل في تفسيرها
كل عمل باطل إلا ما أريد به وجه الله فمن عمل لغير الله ورجاه بطل سعيه و
الراجي يكون تارة راجيا بعمل يعمله وتارة باعتماد قلبه عليه والتجائه إليه
وسؤاله فذاك نوع من العبادة له وهذا نوع من الاستعانة به وقد
قال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين وقال فاعبده وتوكل عليه وقال قل
هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ومما يوضح ذلك
أن كل خير ونعمة تنال العبد فإنما هي من الله وكل شر ومصيبة تندفع عنه

اوتنكشف عنه فانما يمنعها الله ويكشفها الله واذا جرى ما جرى من اسبابه
على يد خلقه فالله هو خالق الاسباب كلها سوا كانت الاسباب حركة
حي باختياره وقصده كما يحدثه باختياره حركة الملائكة والجن والانس و
البهايم او حركة جماد بما جعل الله فيه من الطبع اوبقاسر يقسره كحركة الرياح
والمياه ونحو ذلك فان الله خالق ذلك كله فانه لا حول ولا قوة الا بالله
ما شاء الله كان وما لم يشا لم يكن فالرجا يجب ان يكون لله هذا كله
والتوكل عليه والدعاء له فانه اذا شاء ذلك ويسره كان وتيسر ولو لم يشا
ء الناس وان لم يشاه ولم ييسره لم يكن ولو شاءه الناس وهذا واجب لو
كان شي من الاسباب مستقلا بالمطلوب فانه لو قدر مستقلا بالمطلوب
وانما يكون بمشيئة الله وبتيسيره لكان الواجب ان لا يرجا الا الله ولا يتو
كل الا عليه ولا يسال الا هو ولا يستعان الا به ولا يستغاث الا هو فله الحمد
واليه المشتكى وهو المستعان وبه المستغاث ولا حول ولا قوة الا به فكيف
وليس شي من الاسباب مستقلا بمطلوب بل لا بد من انضمام اسباب
اخر اليه ولا بد ايضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل
المقصود فكل سبب فله شريك وله ضد فان لم يعاونه شريكه ولم ينصرف
عنه ضده لم يحصل سببه فالمطر وحده لا ينبت النبات الا بما ينضم اليه من
الهوى والتراب وغير ذلك ثم الزرع لا يتم حتى تنصرف عنه الافات المفسد
ة والطعام والشراب لا يغذي الا بما جعل في البدن من الاعضا والقوى
ومجموع ذلك لا يفيد ان لم تصرف المفسدات والمخلوق الذي ينصرك و
يعطيك فهو مع ان الله يخلق فيه الارادة والقوة والفعل فلا يتم ما يفعله الا
باسباب كثيرة خارجة عن قدرته تعاونه على مطلوبه ولو كان ملكا مطاعا
ولا بد ان يصرف عن الاسباب ما يعارضها ويمانعها فلا يتم المطلوب الا
بوجود المقتضي وعدم المانع ومن عرف هذا حق المعرفة انفتح له باب توحيد الله
وعلم انه لا يستحق ان يدعا غيره ولا فرق بين الاسباب العلوية والسفلية وافعال

الملائكة والانبيا والمومنين وشفاعتهم فان شفاعته من جنس افعال العباد
لا تكون الا بمشيئة الله وقدرته فليس لاحد ان يشفع عنده الا باذنه الاذن
القدري الكوني فان شفاعته من جنس افعال العباد لا تكون الا بمشيئته وقد
رته فليس كالمخلوق الذي يشفع اليه شافع بغير حول المشفوع اليه بل هو خالق
شفاعة الشافع كساير الحركات ولا حول ولا قوة الا به والحول المتضمن التحول
من حال الى حال بحركة او ارادة او غير ذلك فالشافع لا حول في الشفاعة ولا
غيرها الا به ثم اهل طاعته الذين تقبل شفاعتهم لا يشفعون الا لمن ارتضى فلا يك
يطلبون منه ما لا يحب ان يطلب منه بل الملائكة لا يسبقونه بالقول حتى يقو
ل ولا يشفعون الا لمن ارتضى وعلينا ان نكون معه ومع رسله هكذا فلا نتقد
في الدين حتى يقول لا نتقدم بين يدي الله ورسوله ولا نعمل الا بما امرنا على
من هذا ان لا نعمل الا بما امر فلا تكون اعمالنا الا واجبة او مستحبة واذا كان
هكذا في مثل هذه الاسباب فكيف من توكل او رجا اسبابا غير هذه من
الكواكب او غيرها او من افعال الادميين من الملوك والرؤسا والا
صحاب والاصدقا والمماليك والاتباع وغير ذلك ومما ينبغي ما قاله طا
يفة من العلما قالوا الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد ومحو الاسباب
ان تكون اسبابا نقص في العقل والاعراض عن الاسباب بالكلية قدح في الشر
ع وانما التوكل والرجا معنى يتالف من موجب التوحيد والعقل والشرع وبيا
ن ذلك ان الالتفات الى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستنا
د اليه وليس في المخلوقات ما يستحق هذا لانه ليس بمستقل ولا بد له من شركاء واضداد و
مع هذا كله وان لم يسخره مسبب الاسباب لم يتسخر وهذا مما يبين ان
الله رب كل شي ومليكه وان السموات والارض وما بينهما والافلاك وما
حوتها لها خالق مدبر غيرها وذلك ان كل ما تقدره من ذلك ان كوكب او ملك او غير
ذلك يحكه ليس بمستقل ما حدث شي من الحوادث بل لا بد له من مشارك ومعاو
ن وهو مع ذلك له معارضات وممانعات الى تمام الرب الذي يدعى ويسال

ويتوكل عليه بل لابد ان يكون قيما ما يقيم العبد في جميع الاوقات والاحوال
كما قال سبحانه وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال الله لا اله الا هو الحي القيو
م فهذا من انواع العبادة النظر والاعتبار يوجب ان العبد لا يرجو الا الله
ولا يتوكل الا عليه واما كونه لا يخاف الا ذنبه فلما علم انه لا يصيبه مصيبة
الا بذنوبه وهذا يعلم بايات الافاق والانفس وبما اخبر به في كتابه
كما هو مبسوط في غير هذا الموضع وهذا تحقيق ما ثبت في الحديث الصحيح الالهي حديث
ابي ذر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه فتبين ان ما يحصل للعبد من الخير فليحمد
الله عليه فان الله هو الذي انعم به عليه وان كل ما وجده من الشر فلا يلومن
الا نفسه وفي الصحيح ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سيد الاستغفا
ر ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على
عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك
علي وابوء بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فقوله ابوء بنعمتك
علي اعتراف واقرار بالنعمة وقوله وابوء بذنبي اقرار بالذنب ولهذا قال من قال
من السلف اني اصبحت بين نعمة وذنب فاريد ان احدث للنعمة شكرا و
للذنب استغفارا لكن الشكر بعد النعمة والتوكل والرجا يكون قبل النعمة كما قا
ل سبحانه عن الخليل وابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له وفي خطبة النبي
صلى الله عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا فجمع بين حمده والاستعانة به والاستغفار له فقد تبين ان
الالتفات الى الاسباب شرك في التوحيد وهو المرجح وهذا حال من دعا غير الله او
توكل على غير الله واما قولهم محو الاسباب ان تكون اسبابا نقص في العقل فهو
كذلك فهو في الشرع ايضا فان كثيرا من اهل الكلام انكروا الاسباب بالكلية و
جعلوا وجودها كعدمها والله تعالى يقول والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وقال يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام وقال يضل به كثيرا

ويهدي

ويهدي به كثيرا وامثال ذلك ولهذا فمن قال يفعل عندها لا بها فقد خالف لفظ
القران مع انه لحسن ولمخالفة العقل يشهد انها اسباب ويعلم الفرق بين الجبهة وا
لعين في اختصاص احدهما بقوة ليست في الاخرى وبين الخبز والحصى في ان احدهما
يحصل به اغتذا دون الاخرى واما قولهم الاعراض عن الاسباب بالكلية قدح
في الشرع بل هو ايضا قدح في العقل فان افعال العباد من اقوى الاسباب لما نيط
بها فمن جعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض وجعل المتقين
كالفجار فهو من اعظم الناس جهلا واشدهم كفرا بل ما امر الله به من العبادات والد
عوات والعلوم والاعمال هي من اعظم الاسباب فيما نيط بها من السعادات وكذ
لك ما نهى عنه من الكفر والفسوق والعصيان هي من اعظم الاسباب فيما نيط بها
من العقوبات لما علق به من الشقاوات ومع هذا فقد قال خير الخلق انه لن يدخل
احد منكم الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمة
منه وفضل ولما قال لهم ما منكم من احد الا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النا
ر قالوا يا رسول الله افلا نتكل على الكتاب وندع العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له
اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة ومن كان من اهل الشقاوة
فكذلك وكذلك الدعا والتوكل من اعظم الاسباب لما جعله الله اسبابا له فمن قا
ل ما قدر لي يحصل لي دعوت او لم ادع او توكلت او لم اتوكل فهو بمنزلة من يقول
ما قسم لي من السعادة والشقاوة فهو يحصل لي امنت او لم امن او اطعت او عصيت
ومعلوم ان هذا ضلال وكفر وان كان الاول ليس مثل هذا في الضلال اذ ليس
تعلق المقاصد بالدعا والتوكل كتعلق سعادة الاخرة بالايمان لكن لا ريب ان
ما جعل الله الدعا سببا له فهو بمنزلة ما جعل العمل الصالح سببا له وهو قادر
على ان يفعله سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب اخر ولكن من ترك
الاسباب المشروعة المامور بها لجلب المنافع ودفع المضار كان قادحا في الشر
ع والله سبحانه وتعالى اعلم

٤٧٩ **مسئلة** فيمن يقول الخير من الله والشر من انفسنا
الجواب مذهب اهل السنة ان الله خالق كل شيء وربه ومليكه
لا رب غيره ولا خالق سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وهو على كل شيء
قدير وهو بكل شيء عليم والعبد مامور بطاعة الله وطاعة رسوله منهي
عن معصية الله ومعصية رسوله فان اطاع كان ذلك نعمة من الله انعم بها
عليه وكان له الاجر والثواب بفضل الله ورحمته وان عصى كان مستحقا
للذم والعقاب وكان لله عليه الحجة البالغة ولا حجة لاحد على الله وكل ذ
لك كاين بقضاء الله وقدره ومشيته وقدرته لكنه يحب الطاعة ويامر بها
ويثيب اهلها ويكرمهم ويبغض المعصية وينهى عنها ويعاقب اهلها و
يهينهم وما يصيب العبد من النعم فالله انعم بها عليه وما يصيبه من الشر فبذ
نوبه ومعصيته كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك الايه ما اصابك من خصب ونصر وهدى فالله انعم به عليك وما اصا
بك من جدب وذل وشر فبذنوبك وخطاياك وكل الاشيا كاينة بمشيته
وقدرته وخلقه فلا بد ان يومن بقضاء الله وقدره خيره وشره وحلوه ومره و
ان يومن بشرع الله وامره فمن نظر الى الحقيقة القدرية واعرض عن الامر والنهي و
الوعد والوعيد كان مشابها للمشركين ومن نظر الى الامر والنهي وكذب بالقضا
والقدر كان مشابها للمجوس ومن امن بهذا وبهذا فاذا احسن حمد الله واذا اسا
ء استغفر الله وعلم ان ذلك كله بقضاء الله وقدره فهو من المومنين فان ادم عليه
السلام لما اذنب تاب فاجتباه ربه وهدى وابليس اصر واحتج بالقدر فلعنه
الله واقصاه فمن تاب كان ادميا ومن اصر واحتج بالقدر كان ابليسيا فا
لسعدا يتبعون اباهم والاشقيا يتبعون عدوهم ابليس فنسال الله ان يهدينا
الى الصراط المستقيم والله اعلم ٤٨٠ **مسئلة** هل ثبت ان النبي صلى الله
عليه وسلم صلى بالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ليلة الاسرا ببيت المقد
س ام لا وهل كانت الصلاة وجبت ام لا وهل هي الصلاة المعهودة ام الصلاة

اللغوية

اللغوية التي هي الدعا وهل كان الاسرى في المنام او في اليقظة وهل كان مرة
او مرتين وهل راى النبي صلى الله عليه وسلم ربه سبحانه وتعالى ليلة الاسرى بعيني
راسه ام لا
الجواب نعم ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى
بالانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ببيت المقدس ثم يحتمل ان الصلاة
كانت قبل صعوده الى السماء ويحتمل انها بعد نزوله واختلف العلماء في هذه
الصلاة هل هي فقيل انها الصلاة اللغوية وهي الدعا والذكر وقيل هي الصلاة
المعروفة وهذا اصح لان اللفظ يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية وانما يحمل
على اللغوية اذا تعذر حمله ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الصلاة الشرعية وكانت الصلاة
واجبة قبل صلاة الاسرى وكان واجب بعض قيام الليل نصفه او انقص منه
قليلا او زد عليه ثم نسخ ذلك بعد سنة بما ذكره الله في ذلك السورة بقوله فاقروا
ما تيسر منه ثم نسخ قيام الليل ليلة الاسرى ووجبت فيها الصلاة وكانت الا
سرى ليلة خمس او ست من النبوة وقيل سنة اثني عشر منها وقيل بعد سنة وثلا
ثة اشهر وقيل غير ذلك وكانت الليلة السابعة والعشرين من شهر ربيع الا
ول وكان الاسرى به صلى الله عليه وسلم مرتين مرة في المنام ومرة في اليقظة وراى
صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرى بعيني راسه هذا هو الصحيح الذي قاله ابن
عباس والصحابة واكثر علمائها ومنعه طائفة من الفقها والعلما وليس لها
نعين دليل ظاهر وانما احتجوا بقول عائشة لا تدركه الابصار واجاب الجمهور
عنه بان الادراك هو الاحاطة والله تعالى لا يحاط به علما لكن يراه المومنون
في الدار الاخرة من غير احاطة وكذلك راه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى
والله اعلم ٤٨١ **مسئلة** في الحمد والشكر وما معناهما هل هما معنى واحد او
معنيان وعلى اي شيء يكون الحمد وعلى اي شيء يكون الشكر
الجواب الحمد لله رب العالمين الحمد يتضمن المدح والثنا على المحمود بذكر محاسنه سوا
كان احسانا الى الحامد او لم يكن والشكر لا يكون الا على احسان المشكور فمن
هذا الوجه الحمد اعم من الشكر لانه يكون على المحاسن والاحسان فان

فان الله تعالى يحمد على ما له من الاسماء الحسنى والمثل الاعلى وما خلق في الاخرة و
الاولى ولهذا قال قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ولم يكن له ولي من الذل وقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل
الظلمات والنور الاية وقال الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض
وله الحمد في الاخرة وقال الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة
رسلا الاية واما الشكر فانه لا يكون الا على الانعام فهو اخص من الحمد
من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قال

افادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى اعملوا ال داود شكرا وقليل من عبادي الشكور والشكر
انما يكون بالقلب واللسان فمن هذا الوجه الشكر اعم من جهة انواعه
والحمد اعم من جهة اسبابه وفي الحديث الحمد لله راس الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره
وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرضى عن العبد ان ياكل الاكلة
فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها والله اعلم

مسئلة ٤٦٨٢

في قوله صلى الله عليه وسلم ولا ينفع ذا الجد منك الجد هل هو بالخفض او بالضم

الجواب

الحمد لله اما الاولى فبالخفض واما الثانية فبالضم
ومعناه ان صاحب الجد اي الغنا لا ينفعه منه جده اي لا ينجيه ويخلصه منك
جده وانما ينجيه الايمان والعمل الصالح والجد هو الرياسة والعظمة وهو الما
ل ويبين صلى الله عليه وسلم ان من كان له في الدنيا رياسة او مال لم ينجه ذلك ولم
يخلصه من الله وانما ينجيه من عذابه ايمانه وتقواه فانه صلى الله عليه وسلم قال
اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت فبين في هذا الحديث اصلين عظيمين
احدهما توحيد الربوبية وهو ان لا معطي لما منع الله ولا مانع لما اعطاه ولا
يتوكل الا عليه ولا يسال الا هو والثاني توحيد الالهية وهو بيان ما ينفع و
ما لا ينفع لانه ليس كل من اعطي مالا او دنيا او رياسة كان ذلك نافعا
له عند الله منجيا من عذابه فان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا

يعطي

يعطي الايمان الا من يحب قال تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه
ونعمه الى قوله كلا يقول لا ما كل من وسعتها عليه اكرمه ولا كل من قدرت
عليه اكون قد اهنته بل هذا ابتلاء ليشكر العبد على السراء ويصبر على الضراء
فمن رزق الصبر والشكر كان كل قضاء يقضيه الله خيرا له كما في الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقضي للمؤمن من قضاء الا كان خيرا له وليس ذ
لك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر
فكان خيرا له وتوحيد الالهية ان يعبد الله ولا يشرك به شيئا فيطيعه ويطيع
رسله ويفعل ما يحبه ويرضاه واما توحيد الربوبية فيدخل ما قدره الله و
قضاه وان لم يكن مما امر به واوجبه وارتضاه والعبد مامور بان يعبد الله
ويفعل ما امر به وهو توحيد الالهية ويستعين الله على ذلك وهو توحيد له فيقو
ل اياك نعبد واياك نستعين والله اعلم

مسئلة ٤٦٨٣

فيمن يحفظ القران ايما افضل تلاوة القران مع امن النسيان او التسبيح و
ما عداه من الاستغفار والاذكار في سائر الاوقات مع علمه بما ورد في
الباقيات الصالحات والتهليل ولا حول ولا قوة الا بالله وسيد الاستغفا
ر وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

الجواب

الحمد لله جواب هذه المسئلة ونحوها مما ينبني على اصلين فالاصل الاول
جنس تلاوة القران افضل من جنس الاذكار كما ان جنس الاذكار افضل من
جنس الدعاء كما ثبت في الحديث الصحيح الذي في صحيح مسلم انه قال افضل ال
كلام بعد القران اربع وهن من القران سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر وفي الترمذي عن ابي سعيد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من
شغله القران عن ذكري ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وكما في
الحديث الذي في السنن في الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني لا است
طيع ان اخذ شيئا من القران فعلمني ما يجزيني في صلاتي فقال قل سبحا
ن الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولهذا كانت القراءة في الصلاة الواجبة

فان الائمة لا تعدل عنها الى الذكر الا عند العجز والبدل دون المبدل
منه وايضا فالقراءة تشترط لها الطهارة الكبرى دون الذكر والدعاء
وما لم يشرع الا على الحال الاكمل فهو افضل كما ان الصلاة لما اشترط لها
الطهارتان كانت افضل من مجرد القراءة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولهذا نص العلماء
على ان افضل تطوع البدن الصلاة وايضا فما يكتب فيه القران لا يمسه
الا الطاهر وقد حكي اجماع العلماء على ان القراءة افضل لكن طائفة من الشيوخ
رجحوا الذكر ومنهم من زعم انه ارجح في حق المنتهي المجتهد كما ذكر ذلك ابو حامد
في كتبه ومنهم من قال هو ارجح في حق المبتدي السالك وهذا اقرب الى الصواب
وتحقيق ذلك يذكر في الاصل الثاني وهو ان العمل المفضول قد يقترن به
ما يصيره افضل من ذلك نوعان احدهما ما هو مشروع لجميع الناس والثاني
ما يختلف باختلاف احوال الناس اما الاول فمثل ان يقترن اما بزمان
او مكان او عمل يكون افضل فيه مثل ما بعد الفجر والعصر ونحوهما من اوقا
ت النهي عن الصلاة فان القراءة والذكر والدعاء افضل في هذا الزمان
وكذلك الامكنة التي نهي عن الصلاة فيها كالحمام واعطان الابل والمقبرة
فالقراءة والذكر والدعاء افضل وكذلك الجنب الذكر في حقه افضل
والمحدث القراءة والذكر في حقه افضل فاذا كره الافضل في حال حصول
مفسدة كان المفضول هناك افضل بل هو المشروع وكذلك حال الركوع و
السجود فانه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نهيت ان اقرا القران راكعا
او ساجدا اما الركوع فعظموا فيه الرب واما السجود فاجتهدوا في الدعاء
فقمن ان يستجاب لكم وقد اتفق العلماء على كراهة القراءة في الركوع والسجود
وتنازعوا في بطلان الصلاة بذلك على قولين هما وجهان في مذهب الاما
م احمد وذلك تشريفا للقران العظيم وتعظيما له ان لا يقرا في حال الخضوع
والذل كما كره ان يقرا مع الجنازة وكما كره اكثر العلماء قراءته في الحمام

وما بعد

وما بعد التشهد هو حال الدعاء المشروع بفعله صلى الله عليه وسلم وامره والدعاء
فيه افضل بل هو المشروع دون القراءة والذكر وكذلك الطواف وعرفة ومزدلفة
وعند رمي الجمار المشروع هناك هو الذكر والدعاء وقد تنازع العلماء في القراءة
في الطواف هل تكره ام لا تكره على قولين مشهورين والنوع الثاني
ان يكون العبد عاجزا عن العمل الافضل اما عاجزا عن اصله كمن لا يحفظ القران
او لا يستطيع حفظه كالاعرابي الذي سال النبي صلى الله عليه وسلم او عاجزا
عن فعله على وجه الكمال مع قدرته على فعل المفضول على وجه الكمال
ومن هنا قال من قال ان الذكر افضل من القران فان الواحد من هؤلاء
قد يخبر عن حاله واكثر السالكين بل العارفين منهم انما يخبر احدهم بما ذاقه
ووجده لا يذكر امرا عاما للخلق اذ المعرفة تقتضي امورا معينة جز
ئية والعلم يتناول امرا عاما كليا فالواحد من هؤلاء يجد في الذكر من اجتما
ع قلبه وقوة ايمانه واندفاع الوسواس عنه ومزيد السكينة والنور و
الهدى ما لا يجده في القران بل اذا قرا القران لا يفهمه او لا يحضر قلبه وفهمه ويلعب
عليه الوسواس والفكر كما ان من الناس من يجتمع قلبه في قراءة القران وفهمه
وتدبره ولا يجتمع في الصلاة بل ولا يكون في الصلاة بخلاف ذلك وليس كل ما
كان افضل مشروعا لكل احد بل كل واحد شرع له ان يفعل ما هو افضل له من
الجهاد كالنساء ومن يعجز عن الجهاد وان كان بعض الجهاد افضل من بعض قال
النبي صلى الله عليه وسلم الحج جهاد كل ضعيف ونظائر هذا متعددة اذا عرف
هذان الاصلان عرف بهما جواب هذه المسالة اذا عرف هذا فيقال الاذ
كار المشروعة في اوقات الصلاة متعينة مثل ما يقال عند جواب المؤذن
هو افضل من القراءة في تلك الحال وكذلك ما سنه النبي صلى الله عليه وسلم
فيما يقال عند الصباح والمساء واتيان المضجع هو مقدم على غيره واما اذا قام
من الليل فالقراءة له افضل ان اطاقها والا فليعمل ما يطيق والصلاة افضل
منها فلهذا افتتحهم عند نسخ وجوب قيام الليل الى القران فقال ان ربك يعلم

انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه الاية والله اعلم ٥

مسئلة ٤٨٤ هل للعصر سنة راتبة ام لا

الجواب

الحمد لله الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصلي مع المكتوبات عشر ركعا
ت او اثنتي عشرة ركعة ركعتين قبل الظهر او اربعا وبعدها ركعتين وبعد المغرب
ركعتين وبعد العشاء ركعتين وقبل الفجر ركعتين وكذلك ثبت في الصحيح ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من صلى في يوم وليلة اثنتي عشرة ركعة تطوعا غير الفريضة بنى
الله له بيتا في الجنة وثبت في السنن اربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين
بعد المغرب وركعتين بعد العشا وركعتين قبل الفجر وليس في الصحيح سوى هذه
الاحاديث الثلاثة حديث ابن عمر وعائشة وام حبيبة فاما قبل العصر فلم ينقل
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبلها الا وفيه ضعف بل خطا كحديث يروى
عن علي انه كان يصلي نحو ستة عشر ركعة منها اربعا قبل العصر وهو مطعون فيه
فان الذين اعتنوا بنقل تطوعاته كعائشة وابن عمر بينوا ما كان يصليه و
كذلك الصلاة قبل المغرب وقبل العشا لم يكن يصليها لكن اصحابه يصلون
قبل المغرب بين الاذان والاقامة وهو يراهم فلا ينكر ذلك عليهم وثبت عنه
في الصحيح انه قال بين كل اذانين صلاة بين كل اذانين صلاة بين
كل اذانين صلاة ثم قال في الثالثة لمن شاء كراهية ان يتخذها الناس سنة
فهذا يبين ان الصلاة قبل العصر والمغرب والعشا حسنة وليست بسنة فمن
احب ان يصلي قبل العصر كما يصلي قبل المغرب والعشاء على هذا الوجه فحسن
واما ان يعتقد ذلك سنة راتبة كان يصليها النبي صلى الله عليه وسلم كما يصلي قبل
الظهر وبعدها وبعد المغرب فهذا خطا والصلاة مع المكتوبة ثلاث درجا
ت احدها سنة الفجر والوتر فهاتان امر بهما النبي صلى الله عليه وسلم ولم يامر
بغيرهما وهما سنة باتفاق الائمة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما في السفر
والحضر ولم يجعل مالك سنة راتبة بغيرهما والثانية ما كان يصليه مع المكتوبة في
الحضر وهو عشر ركعات وثلاثة عشر ركعة وقد اثبت ابو حنيفة والشافعي

واحمد

واحمد مع المكتوبات سنة مقدرة بخلاف مالك والثالث التطوع الجائز فهذا
الوقت من غير ان يجعل سنة لكون النبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليه
في رجلين احدهما حافظ القران وهو واعظ ويحضر الرقص الدف والشبابة
والاخر عالم متورع ولا قدر فيه علة والصلاة قبل العصر والمغرب والعشا من
هذا الباب ونحو من ذلك صلاة الضحى اهـ والله اعلم

مسئلة ٤٨٥ في رجلين احدهما حافظ القران وهو واعظ ويحضر الدف والشبابة والاخر عالم
متورع فايهما اولى بالامامة

الجواب ثبت في صحيح مسلم عن
ابي مسعود البدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله
فان كانوا في القراءة سواء فاعلمهم بالسنة فان كانوا بالسنة سواء فاقدمهم هجرة فا
ن استووا فاقدمهم سنا فان كان الرجلان من اهل الديانة فايهما كان اعلم بالكتا
ب والسنة وجب تقديمه على الاخر متعينا فان كان احدهما فاجرا مثل ان يكون
معروفا بالكذب والخيانة ونحو ذلك من اسباب الفسوق والاخر مؤمنا من اهل
التقوى فهذا الثاني اولى بالامامة اذا كان من اهلها وان كان الاول اقرا واعلم
فان الصلاة خلف الفاسق منهي عنها نهي تحريم عند بعض العلماء وعند بعضهم
نهي تنزيه وقد جاء في الحديث لا يؤمن فاجر مؤمنا الا ان يقهره بسوط او عصا
ولا يجوز تولية الفاسق مع امكان تولية البر والله اعلم

مسئلة ٤٨٦ في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الافضل فيها سرا ام جهرا وهل روي عنه صلى
الله عليه وسلم انه قال ارفعوا اصواتكم بالصلاة علي ام لا والحديث الذي يروى عن
ابن عباس انه امرهم بالجهر ليسمع من لم يسمع

الجواب اما الحديث
المذكور فهو كذب موضوع باتفاق اهل العلم وكذلك الحديث الاخر وكذلك ساير
ما يروى في رفع الصوت بالصلاة عليه مثل الاحاديث التي يرويها الباعة لتنفيق السلع
ويروونها السوال من قصاص وغيرهم يجمع الناس حياتهم ونحو ذلك والصلاة عليه
هي دعاء من الادعية كما علم النبي صلى الله عليه وسلم امته حين قالوا قد علمنا السلام عليك
فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ال ابراهيم

انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد
اخرجاه في الصحيحين والسنة في الدعا المخافتة الا ان يكون هناك سبب يشر
ع له الجهر قال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وقال
تعالى عن زكريا اذ نادى ربه ندا خفيا بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى واذ
كر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا
تكن من الغافلين وفي الصحيحين ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معه
في سفر فجعلوا يرفعون اصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اربعوا على
انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انما تدعون سميعا قريبا ان الذي تدعونه
اقرب الى احدكم من عنق راحلته وهذا ذكرناه في الصلاة عليه والدعا المتفق
عليه العلما فكلهم يامر العبد اذا دعا ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعو لا يرفع
صوته بالصلاة عليه اكثر من الدعا سوا كان في صلاة كالصلاة التامة وصلا
ة الجنازة او كان خارج الصلاة حتى عقيب التلبية فانه يرفع صوته بالتلبية ثم
عقيب ذلك يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو سرا وكذلك بين تكبيرات العيد
اذا ذكر الله وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فانه وان جهر بالتكبير لا يجهر بذلك وكذلك
لو اقتصر على الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم خارج الصلاة مثل ان يذكر ويصلي عليه
فانه لم يستحب احد من اهل العلم رفع الصوت بذلك فقايل ذلك مخطي مخالف لما
عليه سلف علما المسلمين ولما رفع الصوت بالصلاة او الرضى الذي تفعله بعض
المؤذنين قدام بعض الخطبا في الجمع فهذا مكروه ومحرم باتفاق الامة لكن منهم من يقو
ل يصلي عليه ومنهم من يقول يسكت والله اعلم

مسئلة ٣٨٧

في رجل ينكر على اهل الذكر يقول لهم هذا الذكر بدعة وجهركم بالذكر بدعة وهم يفتتحون
بالقراءة ويختمون ثم يدعون للمسلمين الاحيا والاموات ويجمعون التسبيح و
التحميد والتهليل والتكبير والحوقلة ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم والمنكر
يعمل السماع مرات بالتصفيق ويبطل الذكر في وقت السماع

الجواب الاجتماع لذكر الله واستماع كتابه والدعا عمل صالح وهو

من افضل

من افضل القربات والعبادات في جميع الاوقات ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ان لله ملايكة سياحين في الارض فاذا مروا بقوم يذكرون الله
ينادون هلموا الى حاجتكم وذكر الحديث وفيه وجدناهم يسبحونك ويحمدونك لكن
ينبغي ان يكون هذا احيانا في بعض الاوقات والامكنة ولا يجعل سنة راتبة يحافظ
عليها الا ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم المداومة عليه في الجماعات كالصلوا
ت الخمس في الجماعات ومن الجمعات والاعياد ونحو ذلك واما محافظة الانسان
على اوراد له من الصلاة والقراءة والذكر والدعا طرفي النهار وزلفا من الليل وغير
ذلك فهذا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والصالحين من عباد الله قديما وحديثا
فما سن عمله على وجه الاجتماع من المكتوبات فعل كذلك وما سن المداومة
عليه على وجه الانفراد عمل كذلك كما كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون احيانا يامرون
احدهم يقرا والباقي يستمعون وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول يا ابا موسى ذكرنا
ربنا فيقرا وهم يستمعون وكان من الصحابة من يقول اجلسوا بنا نومن ساعة
وصلى النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه التطوع في جماعة مرات وخرج على الصحابة من
اهل الصفة وفيهم قارى يقرا فجلس معهم يستمع وما يحصل عند السماع والذكر المشروع
من وجل القلب ودمع العين واقشعرار الجسوم فهذا من افضل الاحوال التي نطق
بها الكتاب والسنة واما الاضطراب الشديد والغشي والموت والصياح
فهذا ان كان هوا لصاحبه فهو بدعة منكرة وان كان صاحبه مغلوبا عليه لم
يلم عليه كما قد كان يكون في التابعين ومن بعدهم فان سببه قوة وجد فهذا
لا اثر فيه واما ما ذكره من السماع فالمشروع الذي تصلح به القلوب ويكون وسيلتها
الى ربها بصلة ما بينه وبينها هو سماع كتاب الله الذي هو سماع خيار هذه
الامة لا سيما وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران وقا
ل زينوا القران باصواتكم وهو السماع الممدوح في الكتاب والسنة لكن لما
نسي بعض هذه الامة حظا من هذا السماع الذي ذكروا به القى بينهم العداوة
والبغضاء فاحدث قوم سماع القصايد والتصفيق والغنا مضاهات

لمن ذم امه من النكاد المقصدية والمشاهد لما ابتدعوا لمضاهاة وقابلهم قوم قست
قلوبهم عن ذكر الله وما نزل من الحق وقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة و
مضاهاة لما عابه الله على اليهود ودين الله الوسط هو ما عليه خيار هذه الا
مة وفق بما وجدنا والله اعلم

مسئلة ٤٨١ ايما افضل اذا قام من الليل الصلاة ام القراءة

الجواب بل الصلاة افضل من
القراءة في غير النهي عن الصلاة نص على ذلك ايمة العلما، وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء
الا مؤمن لكن من حصل له نشاط وتدبر وفهم للقراءة دون الصلاة فالافضل
في حقه ما كان انفع له والله اعلم

مسئلة ٤٨٢ في امراة حملت
ولم يخرج منها شي

الجواب ان وجدت لذة الانزال
فعليها الغسل ولو لم يخرج منها شيء والا فلا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين

هذه ٤٩ مسايل نقلها الشيخ احمد بن ناصر ابن عثمان
من اجوبة ابن حجر الهيتمي

سئل ٤٩ هل ملك الموت يقبض
ارواح الحيوانات كلها او ما يقبض الا ارواح بني ادم فقط واين مستقر الارو
اح بعد قبضها

فاجاب الذي دلت عليه الاحاديث ان
ملك الموت يقبض ارواح الحيوانات جميع الحيوانات من بني ادم وغيرهم من
ذلك قوله مخاطبا لنبينا والله يا محمد لو اردت ان اقبض روح بعوضة ما قد
رت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال القرطبي وفي هذا الخبر ما
يدل على ان ملك الموت هو الموكل بقبض كل ذي روح وان تصرفه كله بامر الله
ومن ذلك ما في خبر الاسرا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال عن نفسه فقلت يا ملك الموت فكيف تقدر على قبض ارواح من في
البحر برها وبحرها الحديث وذكر ابو نعيم عن ثابت البناني قال الليل والنها
ر اربع وعشرون ساعة تاتي على ذي روح الا وملك الموت قائم عليها فا
ن امر بقبضها قبضها والا ذهب قال القرطبي وهذا عام في كل ذي روح
ومن ثم سئل مالك رضي الله عنه عن هذه البراغيث ان ملك الموت هل
يقبض ارواحها فاطرق مليا ثم قال الها نفس قيل نعم قال ملك الموت
يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها واشار مالك رضي الله عنه بذكر
الاية الى ان المراد بقوله الله يتوفى الانفس حين موتها انه يامر ملك الموت
بتوفيها كما صرح به قوله تعالى توفته رسلنا ولا ينافي قوله تعالى خلق الموت و
الحياة وقال يحيى وغيره ان ملك الموت يقبض الروح واعوانه يعالجون والله
تعالى يزهق الروح وبهذا تجتمع الايات والاحاديث وانما اضيف التوفي
لملك الموت لانه يتولاه بالوسطة والمباشرة فاضيف اليه كما اضيف الخا
لق للملك في خبر مسلم عن حذيفة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر
بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا فصورها وخلق سمعها وبصر
ها وجلدها ولحمها وعظمها الحديث والحاصل ان الله سبحانه وتعالى
هو القابض لارواح جميع الخلق بالحقيقة وان ملك الموت واعوانه انما هم و
سايط وكذلك القول في ساير الاسباب العادية فانها باجراء الله في
خلقه لا بغيره تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا وذكر ابن رجب
ان الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم تكون ارواحهم في اعلى عليين ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى واكثر العلما على ان الارواح الشهداء
الشهداء في اجواف طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث
شاءت كما في مسلم وغيره واما بقية المؤمنين فنص الشافعي رضي الله عنه على ان من
لم يبلغ التكليف منهم في الجنة حيث شاءت فتاوي الى قناديل معلقة بالعرش
واخرجه ابن ابي حاتم عن ابن مسعود واما اهل التكليف ففيهم خلاف كثير

فعن احمد انها في الجنة وعن وهب انها في دار يقال لها البيضا في السماء و
عن مجاهد انها تكون في افنية القبور سبعة ايام من يوم دفن لا تفا
رقه اي ثم لا تفارقه بعد ذلك ولا ينافيه سنية السلام على القبور لانه
لا يدل على استقرار الارواح على افنيتها دايما لانه يسلم على قبور الانبيا
والشهداء وارواحهم في اعلا عليين ولكن لها مع ذلك اتصال سريع بالبدن
لا يعلم كنهه الا الله واخرج ابن ابي الدنيا عن مالك بلغني ان الارو
اح مرسلة تذهب حيث شاءت وعن ابن عمر رضي الله عنهما نحوه ونحو ابن
عبد البر ان ارواح غير الشهداء في افنية القبور تسرح حيث شاءت
وقالت فرقة تجتمع الارواح بموضع من الارض كما روي عن ابي هريرة قال
ارواح المومنين تجتمع بجابيه واما ارواح الكفار فتجتمع بسبخة حضرموت
يقال لها برهوت **مسئلة** ٣٩١ هل خلود الجنة على هذا التركيب
اعني من العظم واللحم وغيرهما وخلود الكافرين في النار على صورهم ام لا و
هل منكر ونكير يسئلان المومن او غيرهما كل ميت صغيرا كان او كبيرا
او مسلما او كافرا او مقبورا او غير مقبور وهل منكر بفتح الكاف او كسرها
اكثرهم اللذان يسئلان المومن او غيرهما

الجواب

الذي دلت عليه الاحاديث ان خلود المومنين في الجنة والكافرين في
النار على نحو صورهم في الدنيا المشتملة على نحو اللحم والعظم وصح انه صلى الله
عليه وسلم قال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا قال
الائمة قوله غرلا اي غير مختونين ترد اليه الجلدة التي قطعت بالختان وكذا
يرد اليه كل ما كان فارقه في الحياة كالشعر والظفر ليذوق نعيم الثواب او الم
العقاب فتكمل الاجزاء تلك الاجزاء جميعها مع الانسان في الجنة او في
النار حتى تذوق النعيم او العذاب ومما يدل على ذلك ما اخرجه ابن ابي حاتم عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال في حق الكافر السلسلة تدخل من استه حتى تخر
ج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود ثم يشوى اواخر ج

الشيخان

الشيخان عن ابي هريرة رفعه ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسر
ع ولمسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلاث واخرج الترمذي والبيهقي ان مقعده ما بين مكة والمد
ينة واخرج الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل من يدخل الجنة على صورة ادم وطوله ستون ذراعا وللترمذي وغيره من ما
ت من اهل الدنيا من صغير او كبير يردون بني ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدو
ن عليها ابدا وكذلك اهل النار وفي رواية عند ابن ابي الدنيا على طول ادم ستين ذرا
ع بذراع الملك وعلى حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين وعلى لسا
ن محمد صلى الله عليه وسلم جردا مردا مكحلين واعلم ان اهل السنة
اجمعوا على ان الاجساد تعاد كما كانت في الدنيا باعيانها والوانها واعراضها
واوصافها ولا ينافي ذلك ما في بعض حديث الصور الطويل يخرجون منها شبا
با ابناء ثلاث وثلثين سنة لان هذا من حيث السن فهم مستوون فيه والذ
ي دل عليه القران ان الطفل والسقط يحشران على قدرهما وحينئذ فهما
مستثنيان من الحديث اعني قوله ابناء ثلاث وثلاثين هذا كله ان صح الحد
يث والا فقضية كلامهم ان الناس في الحشر على تفاوت صفاتهم في الدنيا
حتى في الاسنان وانما يقع التبديل عند دخول الجنة وقد قال بعض
المحققين من الحفاظ والصحيح بل الصواب ان الذي يعيده الله هو الاجسا
د الاولى لا غيرها ومن قال غير ذلك فقد اخطا لمخالفته ظاهر القران
والناس في الموقف يكون كل منهم على طوله الذي مات عليه ثم عند دخول
الجنة يصيرون طولا واحدا ففي الصحيح يبعث كل عبد على ما كان علي
ه وفي الحديث الصحيح في صفات الجنة ويبعثون بشعورهم ثم يدخلون
الجنة جردا مردا كما ثبت في الحديث الصحيح انتهى قال القرطبي رحمه الله
يكون الادميون في الجنة على سن واحد واما الحور فاصناف مصنفة
صغار وكبار على ما اشتهت انفس اهل الجنة وسوال الملكين يعم كل ميت

ولو جبنا او غير مقبور كحريق او غريق او اكل سبع كما جزم به جماعة من
الائمة وقال بعضهم يسئالان المقبور انما اراد به التبرك بلفظ
الخبر نعم قال بعض الحفاظ الذي يظهر اختصاص السوال بمن يكون
له تكليف وبه جزم غير واحد من ائمتنا ومن ثم لم يستحبوا تلقينه ولا يسال
الشهيد كما صحت به الاحاديث والحق به من مات مرابطا الظاهر حد
يث رواه احمد وابو داود وهو كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا
في سبيل الله فانه ينمو له عمله الى يوم القيمة ويامن من فتاني القبر والحق القر
طبي بالشهيد الصديق لانه اعلى من مرتبة الشهيد ومنه يوخذ انتفاء السوا
ل في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حق ساير الانبيا وفي بحث بعض الحفاظ ان الم
الملك لا يسال لان السوال يختص بمن شانه ان يفتن وفي حديث حسنه
الترمذي والبيهقي وضعفه الطحاوي من مات ليلة الجمعة او يومها لم
يسال وجزم الترمذي الحكيم بان الطفل لا يسال ووافقه ابن
عبد البر ورواه عن بعض كبار التابعين لكن خالفه القرطبي وابن القيم ف
استدلا بانه يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وبحديث البخاري
واما الكافر والمنافق بالواو ورجح شيخ الاسلام ابن حجر بان الاحا
ديث متفقة على ذلك وهي مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة وجزم الترمذي
الحكيم وابن عبد البر ايضا بان السوال مختص بهذه الامة لحديث مسلم ان
هذه الامة تبتلى في قبورها وخالفهما جماعة منهم ابن القيم وقال ليس في الا
حاديث ما ينفي السوال عمن تقدم من الامم وانما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم
امته عن كيفية امتحانهم في القبور لانه نفى ذلك عن اوليك وتوقف اخرون
وللتوقف وجه لان قوله ان هذه الامة فيه تخصيص فتعدية السوال الى
غيرهم يحتاج الى دليل وعلى تسليم اختصاصهم فهو لزيادة درجاتهم
وتخفيف احوال الحشر فيه وخوف بهم اكثر من غيرهم لان الحي اذا تفرقت هلك
امرها بخلاف اذا توالت فتعزيتها لهذه الامة عند الموت وفي القبر والحشر

دليل

دليل ظاهر على عناية ربهم بهم اكثر من غيرهم ومقتضى الاحاديث سوال الملكين
ان المومن ولو فاسقا كالعادل لكن بشارته يحتمل ان تكون بحسب حاله ف
مقتضى الاحاديث استوى سائر الناس في اسمها وهو منكر ونكير كما في حديث
عند الترمذي وقال حديث حسن غريب ومنكر بفتح الكاف اتفاقا ومنكر
ونكيرها اللذان يسئلان المومن وغيره

مسئلة ٤٩٢ في حية الدار تقتلها
او تتحول عنها وكم تتحول فان قلتم ثلاثا فهل هي ساعات ايام او ساعات
وهل الحيات في ذلك سواء كالاثعال والثروان والثعبان ام يختص التحو
ل بنوع منها وهل حية العمران كالبستان والبير التي يسقى منها الزرع والا
شجار حكمها حكم حية الدار ام لا وهل يكره قتل شيء منها في الموات اي العمران

الجواب اعلم انه صلى الله عليه وسلم امر بقتل الحيات روى البخاري
والنسائي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
غار بمنى وقد نزلت عليه سورة والمرسلات عرفا فنحن ناخذها من فيه
رطبة اذ خرجت علينا حية فقال اقتلوها فابتدرناها لنقتلها
فسبقتنا فقال صلى الله عليه وسلم وقاكم الله شرها كما وقاها شركم وعداوة
الحية للانسان معروفة اذ الذي عليه الجمهور ان الخطاب في قوله اهبطوا
منها جميعا بعضكم لبعض عدو لادم وحوا وابليس والحية وفي حيات الحقو
ل روى قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما سالمناهن منذ عاديناهن
وقال ابن عمر رضي الله عنهما من تركهن فليس منا وقالت عايشة من ترك
حية خشية من ثارها فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفي
المسند احمد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قتل حية فكانما قتل مشركا ومن ترك
حية خوف عاقبتها فليس منا وقال ابن عباس ان الحيات مسخ الجن كما مسخت
القردة من بني اسرائيل واخرجه الطبراني عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم وكذا
رواه ابن حبان هذا كله في غير حيات البيوت اما الحيات التي تاوي الى
البيوت فلا تقتل حتى تنذر ثلاثا واختلف العلماء هل المراد ثلاثة ايام او ثلاث

مرات والاول عليه الجمهور وقد ورد بكل منهما حديث اخرج مالك و
مسلم وابو داود عن ابي سعيد الخدري ان ابا السائب اراد ان يقتل حية بدا
ر لابي سعيد وهو يصلي فاشار اليه ان لا تفعل فلما قضى صلاته حدثه وقد اشا
ر له الى بيت في الدار فقال كان فيه فتى كان حديث عهد بعرس فخرجنا مع رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فكان الفتى يستاذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانصاف النهار يرجع الى اهله فاستاذنه يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم خذ عليك سلاحك فاني اخشى عليك قريظة فاخذ الرجل سلاحه فاذا
امراته بين البابين قائمة فاهوى اليها بالرمح ليطعنها واصابته غيرة فقالت
اكفف عليك رمحك وادخل البيت حتى تنظر ما الذي اخرجني فدخل فاذا بحية
عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها به ثم خرج فركزه
في الدار فاضطربت عليه فخر الفتى ميتا فما يدري ايهما كان اسرع موتا الحية
ام الفتى قال فجئنا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرناه بذلك فقلنا ادع الله ان
يحييه فقال النبي صلى الله عليه وسلم استغفروا الله لصاحبكم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان بالمدينة جنا قد اسلموا فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا
لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان وفي لفظ ان في هذه البيوت عوامر
فاذا رايتم شيئا منها فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر
واخرج ابو داود عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الهوام من الجن من راى شيئا في بيته فليحرج عليه ثلاث مرات فان عاد
فليقتله فانه شيطان واخذ بعض العلماء من الحديث الاول وهو قوله
ان بالمدينة جنا الخ ان الانذار ثلاث خاص بالمدينة وصحح بعضهم انه عام في كل
بلد لا تقتل حية حتى تنذر ثم الظاهر ان الانذار مندوب اليه وان اقتضى
كلام الحنابلة وجوبه حيث قال قتل الحية بغير حق لا يجوز كالانس ولو كان كا
فرا والجن يتصورون بصور شتى وحيات البيوت قد تكون جنا فتؤذن
ثلاثا فان ذهبت والا قتلت لانها ان كانت حية اصلية قتلت وان كانت جنية

جنية

جنية فقد اصرت على العدوان بظهورها للانس في صورة حية تفزعهم بذلك
انتهى والذي ينبغي ان الانذار غير واجب لان الاصل في الصور انها باقية على اصل
خلقتها الاصلية وقد اهدر الشارع هذه الصور اعني صور الحية بسائر انواعها و
جعلها من الفواسق وقدر التحريض على قتلها وكونها صورة جني امر محتمل وليس
بمحقق والاحتمال المخالف للاصل لا يقتضي الوجوب لكن حديث البخاري و
مسلم يقتضيه ولفظه ان ابن عمر كان يقتل الحيات ثم نهى قال ان النبي صلى الله عليه و
سلم هدم حائطا له فوجد فيه سلخ حية فقال انظروا اين هو فنظروه فقال
اقتلوه فكنت اقتلها فلقيت ابا لبابة فاخبرني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تقتلوا الحيات الا كل ابتر ذي طفيتين فانه يسقط الولد ويذهب البصر فا
قتلوه ولفظ عن نافع عن ابن عمر انه كان يقتل الحيات فحدثه ابو لبابة انه صلى
الله عليه وسلم نهى عن قتل حيات البيوت فامسك عنها واعلم ان حديث ابي
سعيد يقتضي طلب تقدم الانذار في سائر انواع الحيات وحينئذ معا
رض عامرا وله الجواب من اطلاق الامر بقتلها وقد يجاب بان اطلاق
الامر بالقتل منسوخ كما عرف من رواية البخاري السابقة ايضا اي حمل هذا على
ما اذا لم يذهب بالانذار والا قتل جانا كان او غيره ويعارض استثنا الابتر
وذو الطفيتين الا ان يجاب بان استثنا هذين يقتضي ان الجني لا يتصور بصو
رتهما فيسن قتلهما مطلقا ثم رايت الزركشي نقل عن العلماء ورد ذلك فقال انما امر
بقتلهما لان الشيطان لا يتمثل بهما وانما نهى عن ذوات البيوت لان الجني
يتمثل بها وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال اقتلوها فانهما يطمسان
البصر ويسقطان الحبالى قال الزهري ونرى ذلك من سمها وظاهر الا
حاديث السابقة اختصاص الانذار بعامر البيوت وهو يحتمل انما خص بذ
لك لانه يتاكد فيه الكثر والا فالعلة المعلومة منه تقتضي الانذار فيما عدا الا
بتر وذو الطفيتين سواء كانت عامرة بيت او بستان او بير او غيرها فالتعبير
بذوات البيوت وهي العوامر في رواية البخاري السابقة كانه للغالب وبما تقرر

وقف

علم انه لا يطلب التحول من الدار لاجل هذا ما ظهر من الحيات فيها بل يقتل ثلاثا
فان ذهبت والا قتلت وان الثلاث ثلاثة ايام عند الجمهور وثلاث ساعات
عند غيرهم وان ساير الحيات العوامر في ذلك سواء الابتر وذو الطفيتين لا امر
فيهما وان حيات غير البيوت لا يبعد الحاقها بحيات البيوت وقد ورد في احاد
يث ما يقتضي اختصاص طلب الانذار بحيات البيوت وظاهر كلام بعضهم لا
يجري الاخذ بهذا المقتضي وان حيات غير البيوت تقتل مطلقا اي من غير انذار
والذي يظهر ان التقييد بعوامر البيوت انما هو للغالب او لمزيد التاكيد وكيفية
الكلام الذي يقال عند الانذار ما اخرج ابو داود عن ابن ابي ليلى ان رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم سئل عن حيات البيوت فقال اذا رايتم منها شيئا في
مساكنكم فقولوا انشدكن العهد الذي اخذ عليكن انشدكن العهد الذي
اخذ عليكن نوح انشدكن العهد الذي اخذ عليكن سليمان الا تؤذونا فان
عدن فاقتلوهن **مسئلة** ٤٩٣ فيمن يقول ان الاولياء يردون الحوض
مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل الانبيا **الجواب** انا لم ار ما ذكر
انه ثبت ان الانبيا يردون حوض النبي صلى الله عليه وسلم ولم ار ما يدل على ذ
لك بعد الفحص والاطلاع على الاحاديث الواردة في الحوض عن نحو بضع و
خمسين صحابيا بل الذي رايته يدل لخلافه فقد اخرج الترمذي عن سمرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون
ايهم اكثر وارده واني لارجو ان اكون اكثرهم واردة واخرج الطبراني عن سمرة
مرفوعا ان الانبيا يتباهون ايهم اكثر اصحابا من امته فارجو ان اكون يومئذ
اكثرهم اصحابا كلهم واردة وان كل نبي يومئذ منهم قائم على حوض ملان معه عصى
يدعو من عرف من امته وان لكل نبي امة بسيماء يعرفهم بها نبيهم فهذان الحديثان
صريحان في ان لكل نبي حوضا مستقلا ترده امته فايكم نقل القرطبي عن العلما
انه طرد عن الحوض من ارتد او احدث بدعة كالرفض والظلمة المسرفين في الجور
والمعلن بالمعاصي ثم الطرد للمسلم قد يكون في حال وقد لا يشرب منه ذو الكبيرة

ثم اذا

وقف

ثم اذا ادخل النار لا يعذب بالعطش انتهى ملخصا وهذا بناء على ان الحوض
قبل الصراط والذي رجحه القاضي عياض انه بعد وان الشرب منه بعد الحساب
والنجاة من النار ورد ايه الحافظ ابن حجر بان ظاهر الاحاديث بان الحوض بجا
نب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها فلو كان قبل الصراط لحا
لت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر ولا ينافيه ان جمعا يد
فعون عنه بعد ورودهم الى النار لانهم يقربون منه بحيث يرونه فيدفعون
في النار قبل ان يخلصوا من بقية الصراط والله اعلم **مسئلة** ٤٩٤
هل خلقت الارض قبل السماء **الجواب** نعم كما صح
في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما والقران ناطق به واجاب عن قو
له تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها
بان الارض خلقت اولا كالخرزة وخلقت السماء بعدها ثم هيا الارض و
دحاها والله اعلم **مسئلة** ٤٩٥ هل العرش افضل من الكرسي
الجواب نعم كما صرح به ابن قتيبة وصرح ايضا بان الكرسي
افضل من السماء وان الشام افضل من العراق وبان الحجر افضل من الركن
اليماني وهو افضل من القواعد والله اعلم **مسئلة** ٤٩٦ هل
الليل في السماء كالارض **الجواب** الذي دلت عليه الايات القرا
نية انه من خواص اهل الارض لان الله امتن به علينا راحة لنا لانا نتعب
ونمل بخلاف اهل السماء ومعنى يسبحون الليل والنهار لا يفترون انهم دائمون
على ذلك فكنى بذلك عن الدوام ووقوع المعراج ليلا انما هو بالنسبة لاهل
الارض والله اعلم **مسئلة** ٤٩٧ ما الفرق بين العهد والميثاق واليمين
الجواب الموثق يقال عهد اليه في كذا اوصاه به ووثقه عليه والعهد
في لسان العرب له معان منها الوصية والضمان والامر والرؤية والمنزل
واما الميثاق فهو العهد المؤكد باليمين واما اليمين فهو الحلف بالله
او بصفاته على ما تقدم في محله **مسئلة** ٤٩٨ هل الحفظة ياذون

من كل الاشيا الكريهة الريح ومن كثرة التردد الى الخلا والاماكن النجسة و
الحشي المتقي ومن نحو الصنان وهل على الكافر حفظة واذا مات الانسان
الى اين يصار بهم وهل الحفظة غير الكاتبين الكريمين **الجواب**
انه في الحديث الصحيح ان الملائكة تتاذى مما تتاذى منه بنو ادم ذكره صلى الله
عليه وسلم تعليلا لنهيه من اكل منتنا كثوم او بصل او كراث او فجل ان يد
خل المسجد فقال من اكل ثوما او بصلا او كراثا او فجلا فلا يقربن مسجدنا
او المساجد فان الملائكة تتاذى مما تتاذى منه بنو ادم وهذا ظاهر في شمول
الحفظة وفي عموم تاذيهم مما يتاذى منه الادمي فيشمل ذلك تاذيهم بكل ريح كريهة
سواء ريح الخلاء وغيره الا انه سياتي ان الحفظة يفارقونه حالة دخول الخلاء
وقوله وهل الكافر حفظة جوابه نعم كما شملته بالتصريح به قوله تعالى كلا
بل تكذبون بالدين اي الحساب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين الاية
واخرج ابن جرير عن ابن عباس قال جعل الله على ابن ادم حافظين في
الليل وحافظين في النهار يحفظان عمله ويكتبان اثره واخرج ابن جر
ير عن مجاهد قال مع كل انسان ملكان ملك عن يمينه واخر عن شماله فا
ما الذي عن يمينه فيكتب الخير واما الذي عن شماله فيكتب الشر **وقوله**
اذا مات الانسان الى اين يصار بهم جوابه اخرج ابو الشيخ والبيهقي عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله وكل بعبده المومن ملكين يكتبان عمله فا
ذا مات قال الملكان اللذان وكلا به قد مات فاذن لنا ان نصعد الى السماء
فيقول الله سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني فيقولان فاين فيقول قوما
على قبر عبدي فسبحاني واحمداني وكبراني واكتبا ذلك لعبدي الى يوم القيمة و
قوله وهل هم غير الكاتبين جوابه انه قد علم مما قدمناه ان الملائكة الحفظة
الموكلين بالانسان ينقسمون الى ان منهم من هو موكل بالحفظ لا غير ومنهم وهما
الكاتبان الكريمان من هو موكل بالحفظ والكتابة وورد في هذين انهم يفارقون
الانسان فقد اخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى

عليه

عليه وسلم ان الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرا
م الكاتبين الذين لا يفارقونكم الا عند احدى ثلاث الجنابة والغائط و
الغسل وظاهره انه ليس المراد هنا المفارقة بالكلية بل يبعدون عنه
حينئذ نوع بعد واخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الظهيرة فراى رجلا يغتسل بفلاة من الارض
فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاتقوا الله واكرموا الكرام الكاتبين الذين
معكم ليسوا يفارقونكم الا عند احدى منزلتين حيث يكون الرجل على خلائه
او يكون مع اهله لانهم كرام كما سماهم الله فليستتر احدكم عند ذلك بجرم حائط
مسئلة في خطيب يذكر احاديث ولم يبين مخرجها ولا رواتها ومن
جملة ما رواه انه ذكر حديث ان التجار هم الفجار الا من قال بيده هكذا وهكذا
الجواب ما ذكره في خطبته من الاحاديث من غير ان يبين رواتها
جائز بشرط ان يكون من اهل المعرفة في الحديث او ينقلها من كتاب مؤلفه
لها كذلك واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس
مؤلفه من اهل الحديث او في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك ومن
فعله عزر التعزير الشديد وهذا حال اكثر الخطبا فانهم بمجرد رؤيتهم
خطبة فيها احاديث حفظوها وخطبوا بها من غير ان يعرفوا ان لتلك الا
حاديث اصلا فيجب على حكام البلاد زجر خطبائها عن ذلك و
يجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك ان ارتكبه واما ما
ذكره من الحديث فهو صحيح كما قاله الترمذي وهو ان رسول الله صلى الله عليه و
سلم خرج الى المصلى فراى الناس يتبايعون فقال يا معشر التجار فاستجابوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوا اعناقهم وابصارهم اليه فقال ان التجار يبعثون
يوم القيمة فجارا الا من اتقى الله وبر وصدق وفي رواية صحيح ابن حبان
ان التجار هم الفجار قيل يا رسول الله اليس قد احل الله البيع قال بلى ولكنهم
يحدثون فيكذبون ويحلفون ويأثمون واما اخره وهو قوله الا من قال بيده

هكذا وهكذا فلم يرد في شيء من كتب الحديث بعد البحث عنه والتجار على
قسمين منهم من يجتنب في بيعه وشرائه وساير معاملاته جميع المحرمات كالر
با والغش والخديعة والكذب والحلف الباطل وهو مع ذلك يخرج حق الله
تعالى وحق العباد من نفسه وماله فاهل هذا القسم لا يبعثون يوم القيمة فجا
را بنص الكتاب والسنة واجماع الائمة بل يبعثون سعداء كما كانوا سعدا
في الدنيا بل هم افضل من الفقرا الصابرين كما ان التجار لانهم يفعلون كما
يفعلونه الفقرا ويزيدون بالزكوات والصدقات وفي هذين من نفع
المسلمين ما يربو ثوابه على كثير من الاعمال القاصرة هذا هو القسم الاول
وهم المرادون بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الا من اتقى الله وبر وصدق
وهم المرادون ايضا بقوله في الحديث الصحيح التاجر الصدوق الامين يحشر مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يوم القيمة وروى ابو
الشيخ وابو نعيم والبيهقي حديث من طلب الدنيا حلالا تعففا عن الـ
مسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البد
ر وقال لقمان لابنه استعن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط
الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروته
واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به وسئل بعض التابعين عن
التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة فقال التاجر الصدوق
احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل
الاخذ والعطا فيجاهده اي ولا يطاوعه فيما يامره به من المحرمات و
قيل للامام احمد ابن حنبل رضي الله عنه ما تقول فيمن جلس في بيته او
مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي فقال احمد هذا رجل لم يسمع العلم
اما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي وكان اصحا
ب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم والقدوة
بهم والقسم الثاني هم الذين لا يجتنبون في بيعهم وشراهم ومعا

ملاتهم

ملاتهم المحرمات كالربا والغش والحلف الباطل وغير ذلك من القبائح التي
انطوى عليها اكثر التجار وهؤلاء فجار في الدنيا والاخرة وهم ممن قال الله
فيهم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في
الاخرة الاية وفي مسلم ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة
رجل حلف على سلعة لقد اعطي بها اكثر مما اعطي وهو كاذب وروى ابو يعلى
انه صلى الله عليه وسلم قال لا تزال قول لا اله الا الله يدفع عن الخلق سخط الله
ما لم يوثروا صفقة دنياهم على اخرتهم واهل هذا القسم هم المرادون بقوله
صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار الحديث

مسئلة 84

وقع في عبارة الفقها ما يصرح بتحريم علم التنجيم هل المراد حساباته او
احكامه **الجواب** العلوم المتعلقة بالنجوم منها ما هو
واجب كالاستدلال بها على القبلة والاوقات واختلاف المطالع و
اتحادها ونحو ذلك ومنها ما هو جائز كالاستدلال بها على منازل القمر وعرو
ض البلاد ومنها ما هو حرام كالاستدلال بها على وقوع الاشيا المغيبة
بان يقضي بوقوع بعضها مستدلا بها عليه بخلاف ما اذا قال ان الله
سبحانه وتعالى اطردت عادته بان هذا النجم اذا حصل له كذا كان ذلك
علامة على كذا فهذا لا منع منه لانه لا محذور فيه

مسئلة 85

في قوله صلى الله عليه وسلم ان من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم وحا
مل القران غير الغالي فيه والجافي عنه واكرام السلطان المقسط وما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم من مسح راس يتيم كان له بكل شعرة يمر يده
عليها حسنات هل المراد من المسح حقيقته او الكناية عن الشفقة عليه
والتلطف **الجواب** المراد بالغالي فيه المتجاوز لما فيه من الحدود
والاحكام الاعتقادية والعلمية والاداب والاخلاق الظاهرة والبا
طنة فمن حفظ الفاظه وتجاوز شيئا من هذه المذكورات كان غير مستحق للا
كرام والتعظيم لكونه مسلما وحافظا للقران فليس المراد نفي التعظيم له

حظا فقابل الاعياد الذي ذكرته فتامله والمراد بالجافي من لا يخضع لما
فيه من الايات الباهرات والادلة المتكاثرة ولا يتامل ما اشتمل عليه
نظمه من بدايع المعاني بل يمره بلسانه مع قساوة قلبه وجفاوة لبه
فهو كحمار الرحى وثور الحراثة ولستا متعبدين بمجرد حفظه وانما الم
المقصود الاعظم بالترتيل والتعبد وبحفظ الفاظه هو هداية القلوب
ورجوعها بالاستكانة والخضوع الى علام الغيوب تنزهها من كل
خلق ذميم وعوارضهم ممن ظفر بذلك مع حفظه فقد ظفر بالكل ومن
ظفر بالاول فقط فقد احتوى من الكمال ما يستحق بسببه ان يكرم
ويعظم ومن قنع بحفظ الفاظه وخلى عن تلك المعاني بان غلا وجفا
فيه فهو بعيد عن الكمال غير مستحق ان يبلغ به مبالغ المكمل من الرجال
هذا والله اعلم هو المراد من الحديث ويؤيد ما ذكرته ما روى احمد و
ابو يعلى والطبراني والبيهقي اقرؤا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه
ولا تغلوا فيه ولا تاكلوا ولا تستكثروا به والمراد من المسح على راس
اليتيم حقيقته كما بينه اخر الحديث ولمن مسح على راس يتيم لم يمسحه الا لله
كان له بكل شعرة تمر عليها يده عشر حسنات ومن احسن الى يتيم او يتيمة
عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين وقرن بين اصبعيه وخص الراس
بذلك لان في المسح عليه تعطفا لصاحبه وشفقته عليه ومحبته له وجبرا
لخاطره وهذه كلها مع اليتيم تقتضي هذا الثواب الجزيل واما
الاحسان اليه فهو اعلى واجل فلذا ذكره بعد في القرب منه صلى الله عليه
وسلم في الجنة حتى هو يكونا كالاصبعين فهو اعظم من اعطا حسنات بعدد
شعر الراس وقد روى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا اردت ان
يلين قلبك فاطعم المسكين وامسح راس اليتيم ٤٠٢ **مسئلة**
في قوله تعالى الذي خلقكم ثم رزقكم **الجواب** ان الرز
ق في اللغة الحظ والنصيب ومنه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون

اي

اي يجعلون حظكم ونصيبكم من سماعكم القرآن تكذيبكم به ومن اثر
لاعليه واما في عرف الشرع من ذلك اذ ما هو مخصص به الحيوان وتمكن من
الانتفاع به وقد يطلق على ما يعم النعم الظاهرة والباطنة ومن ثم قال جما
عة من المفسرين وغيرهم ومما رزقناهم ينفقون يحتمل ان المراد الانفاق من
جميع ما منحهم الله تعالى به من النعم الظاهرة والباطنة وان لا يختص بما هو
المتبادر من الانفاق من النعم الظاهرة اذ الانفاق كما يكون من هذه كذ
لك يكون من النعم الباطنة كالعلم والجاه ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم فيما
رواه ابن ابي شيبة ان علما لا يقال اي يتحدث به ككنز لا ينفق منه وورد
الطبراني مرفوعا مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز
ثم لا ينفق منه وما تناوله الانسان من الحرام يسمى رزقا كما دلت عليه الايا
ت والاحاديث ٤٠٣ **مسئلة** كرامات الاولياء حق فهل تنتهي الى احيا
الموتى وغيره من معجزات الانبياء **الجواب** كرامات الاوليا
حق عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة وقول الفخر الرازي ان ابا
اسحق الاسفرايني انكرها ايضا مردود بانه انما انكر منها ما كان معجزة لنبي
كاحياء الموتى لئلا تختلط الكرامة بالمعجزة وغلطه النووي كابن الصلا
الصلاح بانه ليس في كرامتهم معارضة للنبوة لان الولي انما اعطي ذلك ببر
كة اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم فلا تظهر حقيقة الكرامة عليه الا اذا كان دا
عيا لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم بريا من كل بدعة وانحراف عن شريعته
صلى الله عليه وسلم فبقدر اتباعه يولي الله تعالى عليه النعمة ويبرح عنه ويقذف
في قلبه من انواره والحاصل ان كرامة الولي من بعض معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم لكن لحظ اتباعه له اظهر الله بعض خواص النبي صلى الله عليه وسلم على يدي وارثه
ومتبعه في ساير حركاته وسكناته وقد تنزلت الملائكة لاستماع قراءة
اسيد وكان سلمان وابو الدرداء ياكلان في صحفة فسبحت الصحفة وما
فيها ثم الصحيح انهم ينتهون الى احياء الموتى خلافا لابي القاسم القشيري

ومن ثم قال الزركشي ما قاله ضعيف والجمهور على خلافه وقد انكروه عليه
وفي شرح مسلم للنووي تجوز الكرامات بخوارق العادات على اختلاف
انواعها وخصها بعضهم باجابة دعوة ونحوها وهذا غلط من قائله بل ال
صواب جريانها بانقلاب الاعيان ونحوه انتهى وقد مات فرس بعض
السلف في الغزو فسال الله احياه حتى يصل الى بيته فاحياه امر فلما وصل بيته
قال لولده خذ سرجه فانه عارية عندنا فاخذه فخر ميتا وكلامنا في احياء ال
ميت الواقع كرامة لان الاجل محتوم لا يزيد ولا ينقص لان من احيي كرامة
مات اولا باجله وحياته وقعت كرامة وكون الميت لا يحيي الا للبعث
هذا عند عدم الكرامة اما عندها فهو كاحيائه في القبر للسوال كما صح بخبر
وقد وقع للعزير وحماره والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر المو
ت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم **مسئلة** انكر بعضهم الدعا
بالملهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي محتجا بحديث فرغ ربك من ثلاث رزقك
واجلك وشقي ام سعيد فهل هو كذلك **الجواب** ليس الامر كما
زعم هذا المنكر ويلزمه ابطال الدعاء من اصله لان كل ما يستفع لك قد فرغ
منه وبذلك قال بعض المبتدعة فابطلوا الدعاء من اصله وقالوا لا فائدة
له ورد عليهم اهل السنة وقالوا له فائدة وذلك ان المقدرات على قسمين منها
ما ابرم وهو المعبر عنه بما في ام الكتاب الذي لا يقبل تغييرا ولا تبديلا و
منها ما علق على فعل شيء وهو المعبر عنه باللوح المحفوظ القابل للتغيير والتبد
يل واصل ذلك قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب ومن ذ
لك حديث زيادة الرحم تزيد في العمر الطويل وان قال بعضهم وكذلك
الدعاء قد يكون المدعو به معلقا على الدعا فكان للدعا فائدة اي فائدة
على ان الدعا لا يخيب ابدا لانه ان كان مما علق على الدعا فواضح وجود الفا
ئدة فيه وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم لا يرد القضا الا الدعا وان كان مما
لم يعلق على ذلك ففائدته الثواب لان الدعا من العبادة بل من افضلها

كما

كما قال صلى الله عليه وسلم الدعا مخ العبادة وايضا فقد يبدل الله الداعي بدل
ما دعى به ما لم يقدر له ما هو افضل منه كما يليق بجوده وكرمه وسعة فضله ومن
ثم اطلق تبارك وتعالى الاستجابة للدعا ولم يقيدها بشيء فقال تعالى ربكم اد
عوني استجب لكم وقال اجيب دعوة الداع اذا دعان ثم رايت بعضهم اشار لـ
بعض ذلك فقال لا ينكر الدعا الا كافر مكذب بالقران لان الله تعالى تعبد عبا
ده به في غير اية ووعدهم بالاستجابة على ما سبق في علمه من احد ثلاثة اشيا على ما
ورد في الحديث استجابة او ادخارا او تكفيرا عنه **مسئلة** ما المراد با
خوات هود في حديث شيبتني هود واخواتها **الجواب**
المراد بهن الواقعة والمرسلات وعم والتكوير رواه الترمذي والحاكم زاد ال
طبراني والحاقة وابن مردويه وهل اتاك وابن سعد والقارعة وسال سا
ئل واقتربت الساعة **مسئلة** في حديث من قطع سدرة صو
ب الله راسه في النار من رواه **الجواب** رواه كثيرون و
صحح الضيا في المختارة والاحاديث فيه كثيرة وهي مؤولة عند العلما لاجماعهم
على جواز قطعه قال بعض السلف محلها سدر الحرم وقال ابو داود في
قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق
مسئلة هل يطلق الاسلام على سائر الامم السابقة حتى حكم
حقيقتها او يختص بهذه الامة **الجواب** رجح ابن الصلاح
الاول وسياتي ما صرح به من لفظ القران ورجح غيره الثاني وهو لا يوصف
به من الامم السابقة الا الانبيا فقط وشرفت هذه الامة بان وصفت بما
وصف به الانبيا تشريفا وتكريما **مسئلة** كم عدد الانبيا والرسل
الجواب روى الطبراني بسند رجاله رجال الصحيح ان رجلا قال
يا رسول الله كم كانت الرسل قال ثلاث مائة وخمسة عشر واخرج ابن حبا
ن والحاكم في صحيحه عن ابي ذر قلت يا رسول الله كم الانبيا قال مائة الف نبي وا
ربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاث

عشر جم غفير ولا ينافي في ذلك قوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم
نقصص عليك لان هذا اما اخبار عما قص عليه وانه قص عليه الكل بعد
نزول تلك الاية وبه يجاب ايضا عن التخالف بين الروايتين فيحمل انه
قص عليه اولا ثلاث مائة وثلاثة عشر ثم ثانيا ثلثمائة وخمسة عشر
فاخبر عن كل ما قص عليه وقت الاخبار به **مسئلة** ٨٠٩ ما المعتمد
في الخضر هل هو نبي حي وكذا الياس **الجواب** حياتهما
ونبوتهما وانما خصا بذلك في الارض كما خص ادريس وعيسى صلى الله عليهما و
سلم ببقائهما حيين في السماء **مسئلة** ٨١٠ كم بين عيسى وموسى وبين عيسى
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم **الجواب** الاول الف ونيف وتسعما
ئة سنة والثاني نحو ستمائة سنة على الاشهر **مسئلة** ٨١١ الطفل
هل يحشر صورته وهل يتزوج الحور **الجواب**
الطفل يكون في الحشر على خلقته ثم عند دخول الجنة يزاد فيه حتى يكون كالبالغ
ثم يتزوج من نساء الدنيا ومن الحور **مسئلة** ٨١٢ حديث يدخل
اهل الجنة الجنة مردا مكحلين ابناء ثلاث وثلاثين على خلق ادم سبعين
ذراعا في عرض سبعة من رواه **الجواب** رواه احمد وابن ابي
الدنيا والطبراني في الاوسط **مسئلة** ٨١٣ من اين يخرج المهدي
الجواب ثبت في احاديث انه يخرج من قبل المشرق وانه يبايع
له بمكة بين الركن والمقام وانه يسكن بيت المقدس **مسئلة** ٨١٤
كم يقيم عيسى عليه السلام بعد نزوله **الجواب** يقيم سبع سنين
كما صح في مسلم ولا ينافيه حديث الطيالسي انه يقيم اربعين سنة لان المراد
مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده لانه رفع وسنه ثلاث وثلاثون
سنة **مسئلة** ٨١٥ ما الفرق بين التشبيه والتمثيل والنظير
الجواب الثلاثة متحدة لغة واما اصطلاحا فظاهر قول شراح
العقايد عن الاشعرية ان المماثلة انما تثبت عندهم بالاشتراك في جميع الا

وصاف

وصاف ان المثل اخص لان المماثلة تستلزم المشابهة فقد يكون شبيه الشيء
غير مماثل له والنظير قد لا يكون مشابها وحاصله ان المماثلة تقتضي المساوا
ة من كل وجه والمشابهة تقتضي ذلك في الاكثر والمناظرة تكفي في وجه
مسئلة ٨١٦ هل ورد حديث صحيح في مشروعية التكبير اواخر قصار المفصل
وهل هو خاص في حق غير المصلي **الجواب** حديث التكبير
ورد من طرق كثيرة عن احمد ابن ابي بزة البزي قال سمعت عكرمة ابن سليمان
يقول قرأت على اسمعيل ابن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال
لي كبر عند خاتمة كل سورة فاني قرأت على عبد الله ابن كثير فلما بلغت والضحى قا
ل لي كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم واخبره انه قرأ على مجاهد فامره بذلك و
اخبره مجاهد ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي ابن كعب
امره بذلك واخبره ابي ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بذلك وقد اخرجه
الحاكم في صحيحه عن البزي وقال هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
انتهى قال الشافعي رضي الله عنه ان تركت التكبير تركت سنة قال الحا
فظ العماد ابن كثير وهذا من الشافعي يقتضي صحة هذا الحديث ومما يقتضي
صحته ايضا ان احمد بن حنبل رواه وقد كان احمد يجتنب المنكرات فلو كان
منكرا ما رواه وقد صح عن اهل مكة فقهائهم وعلمائهم ومن روى عنهم وصحة
استفاضت وانتشرت حتى بلغت حد التواتر واختلفوا في ابتدائه فقيل
من اول سورة الضحى والجمهور على انه من اول سورة الم نشرح الى
خر الناس ولا فرق في ندب التكبير بين المصلي وغيره وهو سنة حتى في
الصلاة كما نص عليه الشافعي وشيخه سفيان ابن عيينة وابن جريج
وغيرهم ونقله جماعة من ائمتنا وافتى به من يعمل به في صلاة التراويح
وانكروا على من انكر ذلك وقال الحليمي نكتة التكبير تشبيه القران
بصوم رمضان اذا تمت عدته بكبر فكذا هنا يكبر اذا اكمل عدة السور
قال وصفته ان يقف بعد كل سورة ويقول الله اكبر قال سليمان

الرازي ومن لا يكبر من القراء فحجتهم في ذلك اسد الذريعة عن الزيادة في القرا
ن بان يداوم عليها فيتوهم انه منه **مسئلة** ٨١٧ ما معنى لعن المؤمن
كقتله **الجواب** انه كقتله في الحرمة الشديدة لان لعن المسلم حرام
بل لعن الحيوان كذلك وسبب ذلك ان اللعن عبارة عن الطرد والابعاد
عن الله وذلك غير جائز الا من اتصف بصفة تبعده عن الله تعالى وهو
الكفر والبدعة والفسق فيجوز لعن المتصف بواحد من هذه باعتبار
الوصف الاعم نحو لعنة الله على الكافرين والمبتدعة والفسقة او الوصف
الاخص نحو لعن اهل الهوى والخوارج والقدرية والروافض والزناة و
الظلمة واكل الربا واما المعين فان كان حيا لم يجز مطلقا الا ان علم انه
يموت على الكفر كابليس وان لم يعلم موته على الكفر لم يجز لعنه وان كان كا
فرا في الحال لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه
ملعونا مطرودا نعم يجوز ان يقال لعنه الله ان مات كافرا وكذا يقا
ل في فاسق ومبتدع معين انه مات ولم يتب ومن ثم لم يجز لعن يزيد
ابن معاوية وتشبيه لعن المؤمن بقتله انما هو في اصل التحريم او لكون كل
منهما كبيرة وليس يلازم في المشبه ان يعطى حكم المشبه به من كل وجه والله اعلم
مسئلة ٨١٨ في قوله في حديث ابن عباس الذي رواه البخاري في
حديث القبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى وفيه ثم دعى
بجريدة فكسرها فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل يا رسول الله لم فعلت هذا
قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ما الحكمة في ذلك وهل لكل احد ان يفعل
ذلك على اي قبر وهل المعذبان كافر مسلمان او كافران **الجواب**
قوله وما يعذبان في كبير ثم قال بلى اي يعذبان في كبير والجمع بينهما اي ليس
بكبير عندكم ولكنه كبير عند الله كما في قوله وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
او المراد بقوله وما يعذبان في كبير اي في امر كان يكبر ويشق عليهما الاحتراز
منه اذ لا مشقة في الاحتراز عن البول والنميمة وليس المراد ان ذلك

ليس

ليس بكبير في امر الدين بل هو كبير لان اعني عدم التنزه من البول والمشي بالنميمة
والضمير في ييبسا للكسرتين قال العلماء وهو محمول على انه سال الشفاعة
لهما فاجيب شفاعته بان يخفف عنهما الى ان ييبسا ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم
كان يدعو لهما تلك المدة ويحتمل انهما يسبحا ما لم ييبسا وليس لليابس تسبيح
وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده اي شيء حي وحياة كل شيء بحسبه ما لم ييبس
والحجر ما لم يقطع والجمهور ان هذا التسبيح على عمومه ام حقيقة وهو قول
المحققين اذ العقل لا يحيله او انه بلسان الحال باعتبار دلالته على الصانع و
اما المعذبان فانهما مسلمان اذ الكافر لا يسال له النبي صلى الله عليه وسلم الشفا
عة وقد مر عن العلماء انه محمول عندهم على انه سال الشفاعة لهما فاجيب
وقوله وهل لكل احد ان يفعل ذلك فيقال نعم يحسن فعل ذلك لكل احد
اتباعا له صلى الله عليه وسلم فان الاصل في افعاله صلى الله عليه وسلم التاسي الا ما
دل دليل على الخصوصية ولا دليل هنا عليها **مسئلة** ٨١٩ ابن
صياد هل هو الدجال او غيره **الجواب** اختلف في ذلك
الصحابة رضوان الله عليهم فكثير منهم قالوا انه هو وكان بعضهم يحلف على
ذلك كجابر ابن عبد الله وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وقال آخرون
انه غيره وهو الاشهر وعليه يدل صريحا ما في حديث مسلم الطويل حديث
الجساسة المنعوت فيه الدجال باوصاف لا تنطبق على ابن
صياد منها انه مسلسل في جزيرة من جزائر البحرين وابن صياد
اذ ذاك بالمدينة على انه ورد انه اسلم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتز
وج وولد له واما ما ورد ايضا انه فقد ولم يدر اين ذهب فهذا
لا يدل على انه الدجال كما هو ظاهر والله اعلم

من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية قدس الله روحه

وقف

بسم الله الرحمن الرحيم

مسئلة

سئل الشيخ الإمام العالم العلامة أبو العباس أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى عن
رجلين اختلفا في الاعتقاد فقال أحدهما من لم يعتقد أن الله في السماء فهو
ضال وقال الآخر إن الله لا ينحصر في مكان وهما شافعيان فبينوا لنا ما
نتبعه من عقيدة الشافعي رضي الله عنه وما الصواب في ذلك

الجواب

اعتقاد الشافعي رضي الله عنه هو اعتقاد سلف أئمة الإسلام كمالك والثوري
والأوزاعي وابن المبارك وأحمد ابن حنبل وإسحق ابن راهويه وهو اعتقاد
المشايخ المقتدى بهم كالفضيل ابن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبد الله
التستري وغيرهم فإنه ليس بين هؤلاء والأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين
وكذلك أبو حنيفة رحمه الله فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر
ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة
والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة قال الشافعي
في أول خطبة الرسالة الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق
ما يصف به خلقه فبين رحمه الله أن الله موصوف بما وصف به نفسه في
كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك قال أحمد ابن حنبل لا يوصف
الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحد
يث وهكذا مذهب سلفهم أنهم يصفون الحسنى والصفات العليا و
يعلمون أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فإنه كما أن
ذاته ليست كالذوات المخلوقة فصفاته ليست كالصفات المخلوقة بل هو
سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب وهو سبحانه
في صفات الكمال لا يماثله شيء فهو سبحانه حي قيوم سميع بصير عليم قدير رؤف
رحيم وهو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى

على العرش

على العرش وهو الذي كلم موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا ولا يماثله شيء من الأ
شياء في شيء من صفاته فليس كعلمه علم أحد ولا كقدرته قدرة أحد ولا كرحمته
رحمة أحد ولا كاستوائه استواء أحد ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا
بصره ولا كتكليمه تكليم أحد ولا كتجليه تجلي أحد والله سبحانه قد أخبرنا أن
في الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وقد قال ابن عباس رضي الله
عنهما ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء فإذا كانت المخلوقات الغائبة
ليست مثل هذه المخلوقات الشاهدة مع اتفاقهما في الأسماء فالخالق أعظم علوا
ومباينة لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق وإن اتفقت الأسماء وقد سمى
نفسه حيا وعليما سميعا بصيرا ملكا رؤفا رحيما وسمى بعض مخلوقاته حيا وبعضها
عليما وبعضها سميعا بصيرا وبعضها رؤفا رحيما وليس الحي كالحي ولا العليم كا
لعليم ولا السميع كالسميع ولا البصير كالبصير ولا الرؤف كالرؤف ولا الرحيم
كالرحيم قال الله تعالى الله لا إله إلا هو الحي القيوم وقال تعالى يخرج الحي من الميت
ويخرج الميت من الحي وقال تعالى وهو العليم الحكيم وقال وبشروه بغلام عليم
وقال تعالى إن الله كان سميعا بصيرا وقال إن الله بالناس لرؤف رحيم وقا
ل لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وهو سبحانه قد قال في كتابه أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض
فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا الآية وثبت في الصحيح عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت
رسول الله قال أعتقها فإنها مؤمنة وهذا الحديث رواه مالك والشافعي وأحمد
ابن حنبل ومسلم في صحيحه وغيرهم لكن ليس معنى ذلك أن الله في جوف السماء وأن الله
السموات تحصره وتحويه فإن هذا لم يقله أحد من سلف الأمة وأئمتها بل هم
متفقون على أن الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ليس في مخلوقاته
شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته وقد قال مالك ابن أنس إن الله في
السماء وعلمه في كل مكان وقال رجل لعبد الله ابن المبارك بماذا نعرف ربنا قال بأنه

فوق سمواته على عرشه باين من خلقه وقال احمد ابن حنبل كما قال هذا وقا
ل الشافعي خلافة ابي بكر حق قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب اولياء
ه وقال الاوزاعي كنا والتابعون متوافرون نقول بان الله فوق عرشه
ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته فمن اعتقد ان الله في جوف السما
ء السموات محصور محاط به وانه مفتقر الى العرش او غير العرش من المخلوقات
او ان استواءه على عرشه كاستواء المخلوق على كرسيه فهو ضال مبتدع جا
هل ومن اعتقد ان الله ليس فوق السموات اله يعبد ولا على العرش رب يصلى له
ويسجد وان محمدا لم يعرج به الى ربه ولا نزل القران من عنده فهو معطل فر
عوني ضال مبتدع فان فرعون كذب موسى في ان ربه فوق السموات وقال
يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى
اله موسى واني لاظنه كاذبا ومحمد صلى الله عليه وسلم صدق موسى
في ان ربه فوق السموات فلما كان ليلة المعراج عرج به الى الله وفرض
عليه ربه خمسين صلاة ذكر انه رجع الى موسى قال له ارجع الى ربك فسله
التخفيف لامتك وهذا الحديث في الصحاح فمن وافق فرعون وخالف موسى
ومحمد فهو ضال ومن مثل الله بخلقه فهو ضال قال نعيم ابن حماد من شبه الله
بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه
ولا رسوله تشبيها وقد قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وقال يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك وقال بل رفعه الله اليه وقا
ل الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق وقال تعالى تنزيل
الكتاب من الله العزيز الحكيم وقال تعالى وله من في السموات والارض
ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون فدل بذلك على ان الذ
ين عندهم قد يقربون اليه وان كانت المخلوقات تحت قدرته فالقايل الذي
يك من لا يعتقد ان الله في السماء فهو ضال ان اراد بذلك من لا يعتقد ان
الله في جوف السماء بحيث تحصره وتحيط به فقد اخطا وان اراد بذلك

من لم